جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

الميدان: العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
الفرع: تاريخ عام
التخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

رقم: .....

إعداد الطالب:
نور الهدى خزّار

يوم:04/07/2019

الجانب التاريخي في كتابات محمد البشير الإبراهيمي

لجنة المناقشة:

د/مغنية غرداين	أ مح أ	**جامعة بسكرة محمد خيضر**	رئيس
د/مسعود كربوع	أ مح ب	**جامعة بسكرة محمد خيضر**	مشرف
د/فريح لخميسي	أ مح أ	**جامعة بسكرة محمد خيضر**	مناقش

السنة الجامعية:2018- 2019

إهداء

إلى والدتي ... تلك التي علمتني كيف تذوب الحواجز عند عتبات التحدي ...

شكر وتقدير

يقول الله عز وجل: «لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ » إبراهيم -7-.

فنشكر الله عز وجل أولا وآخرا، ونحمده سبحانه وتعالى على عظيم منته، وكريم فضله، الذي وفقنا لإتمام هذا البحث، فله الحمد في الأولى والآخرة.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»، فمن منطلق هذا الحديث النبوي الشريف أتقدم بالشكر و الاعتراف بالجميل إلى كل من تلقيت على أيديهم العلم من ينابيعه الصحيحة ابتداءَ من التعليم الابتدائي، فالمتوسط، فالثانوي و الجامعي.

كما أتقدم بخالص الشكر إلى الأستاذ المشرف " مسعود كربوع "، الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، وأعانني على إتمامه فله كل التقدير والاحترام .

مقدمة

مقدمة:

رغم محاولات الإدارة الفرنسية الهادفة إلى عزل الجزائر عن العالم العربي الإسلامي، وتمزيق المرجعية الحضارية للأمة الجزائرية وتشويه هويتها العربية الإسلامية، إلا أنها عجزت عن زعزعة عقيدة الجزائريين الراسخة، وظل البعد العربي والإسلامي مرتبط برجال الثقافة الجزائريين منذ الاحتلال، ومما زاد هذا الارتباط ظهور الحركة الإصلاحية الجزائرية التي تجسدت فيما بعد في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931، وأهم ما ميز الجمعية ارتباطها الوثيق بقضايا العرب والمسلمين، ولعل أبرز قادتها الذين عبروا صراحة عن تعلقهم بقضايا العالم العربي والإسلامي الشيخ البشير الإبراهيمي .

كان محمد البشير الإبراهيمي–رحمه الله– الرجل الثاني والشخصية البارزة بعد الإمام عبد الحميد بن باديس، بزغ نجمه في الجزائر وامتد صيته إلى العالم العربي والإسلامي بسبب اهتمامه بالقضايا الوطنية وقضايا العالم العربي، فاحتل الشيخ مكانة فكرية وثقافية بارزة لفتت أنظار الجميع مشرقا ومغربا، وبوأته مكانة مرموقة بين أعلام الفكر والثقافة في العالم العربي.

لقد انتصب الإبراهيمي مفكرا ومصلحا ومربيا وسياسيا ومجاهدا ..عُدّته في ذلك فكر لمّاح، وبيان مُنخّل، وبلاغة ساحرة ، وإيمان عميق ، جُمعت كلها في ما تركه الشيخ من تراث مكتوب، سوف يبقى ما بقي الدهر، وتعاقب الزمن .

وقد حظي الشيخ البشير الإبراهيمي وآثاره الفكرية باهتمام واسع من قبل الباحثين والكتاب المؤلفين الذين ما فتئوا –منذ وفاته – يدرسون الجوانب المختلفة لشخصيته العلمية والأدبية والفكرية، قد تناوله الباحثون في مقالاتهم ورسائلهم الجامعية على أنه أديب ولغوي، وأنه فقيه مصلح. ولكننا لا نجد من درسه كباحث ومهتم بالتاريخ وبأحوال الأمم الغابرة والمعاصرة، وأن له رأياً في كتابة التاريخ .

ومن هنا جاءت أهمية هذا الموضوع الذي يندرج تحت عنوان : "الجانب التاريخي في كتابات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي"، كون هذا الجانب من الكتابات يحتاج إلى تسليط الضوء عليه، وقد حاولتُ جاهدة من خلال هذه المذكرة دراسة نماذج لكتابات الإبراهيمي في الجانب التاريخي .

أسباب اختيار الموضوع :

هناك أسباب كثيرة دفعتني للبحث في هذا الموضوع أخص منها بالذكر :

- إثبات اهتمام البشير الإبراهيمي بالمواضيع التاريخية على غرار المواضيع الإصلاحية والأدبية.
- الرغبة في تسليط الضوء على الثقافة التاريخية للشيخ البشير الإبراهيمي واهتماماته بالكتابة في هذا المجال .
- الرغبة في خدمة التراث التاريخي الجزائري وإيلائه مكانته الحقيقية، في ظل التمسك بالقيم والثوابت والتطلع إلى النهوض .

إشكالية الموضوع :

طيلة فترة إنجازي لهذا البحث حاولت الوصول إلى نقطة محورية هي إشكالية البحث ، وقد كانت بالصيغة التالية: فيم يتمثل البعد التاريخي للإبراهيمي من خلال كتاباته؟

وتتفرع هذه الإشكالية إلى مجموعة تساؤلات فرعية كالآتي:

- إلى أي مدى كان الإبراهيمي يتمتع بثقافة تاريخية عالية؟
- كيف كان تعامل الإبراهيمي مع التاريخ ؟
- هل كان اهتمام البشير الإبراهيمي مقتصرا على قضايا بلده أم تجاوزها إلى قضايا العام الإسلامي ؟
- ماهي مصادر الإبراهيمي في ثقافته التاريخية؟
- كيف كان أسلوب الإبراهيمي في استحضار الشواهد التاريخية؟

مناهج البحث:

وللإجابة على هذه التساؤلات ومحاولة والإلمام بجوانب بالموضوع تم الاعتماد على :

- المنهج التاريخي الوصفي : من خلال استعراض القضايا التاريخية الجزائرية والعربية وابراز موقف الإبراهيمي منها و كتاباته حولها .

كما اعتمدت في بعض الأحيان على المنهج التاريخي التحليلي كمنهج مساعد لتحليل القضايا والإشكاليات.

- **خطة البحث:**

وقد قسمت موضوع بحثي هذا بناءً على طبيعة الموضوع والمادة العلمية التي تم جمعها إلى مقدمة و ثلاث فصول وخاتمة وملاحق .

– الفصل الأول: بعنوان "التعريف بشخصية البشير الإبراهيمي"؛ تطرقت فيه إلى أهم المحطات في حياة الإبراهيمي بداية بمولده ونشأته ثم حياته العلمية الفكرية مرورا بهجراته نحو المشرق وأخيرا وفاته وآثاره العلمية التي تركها .

– الفصل الثاني: بعنوان" كتابات الإبراهيمي التاريخية حول الوطن العربي"؛ حيث تطرقت فيه إلى الكتابات التاريخية للإبراهيمي حول الوطن العربي، فتناولت كتابات الإبراهيمي حول تاريخ الإسلام، وكتاباته حول تاريخ المغرب العربي القديم والحديث وأهم الأحداث التي تعرض لها كوحدة جغرافية أو كدول مستقلة، كما أدرجت في هذا الفصل كتابات الإبراهيمي حول فلسطين وتاريخها.

– الفصل الثالث: بعنوان " كتابات الإبراهيمي التاريخية حول الجزائر"، تناولت فيه كتابات الإبراهيمي حول تاريخ الجزائر قبل الاحتلال، وأثناء الاحتلال مع إدراج موقف الإبراهيمي من الاحتلال وممارساته المختلفة في الجزائر، بالإضافة إلى كتاباته حول الثورة.

وفي الأخير، أنهيت البحث بخاتمة أعتبرها نتائج أوصلني البحث إليها، وفي نفس الوقت إجابات على تساؤلات وإشكالات طرحت سابقا ببداية مقدمتي هذه.

- **صعوبات البحث:**

لا يخلو أي بحث علمي من الصعوبات ، ومن المعوقات التي صادفتني:

- صعوبة أسلوب التحرير عند الإبراهيمي نظرا لخلفيته الأدبية الواسعة.
- قلة المراجع المتخصصة–حسب ما توصلت إليه – التي تناولت اهتمامات محمد البشير الإبراهيمي بالمواضيع التاريخية وكتابته فيها .

أهم مصادر ومراجع البحث :

اعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع، أهمها :

- آثار محمد الشير الإبراهيمي وهي في خمسة أجزاء جمعها وحققها نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، وقد تضمنت مقالات وكتابات وخطب عالجت مواضيع سياسية واجتماعية وثقافية ودينية وحضارية.
- المقالات التي دبجها الإبراهيمي في جريدة "البصائر".
- كتاب "الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه" لعثمان شبوب ؛ والذي ضمنه مجموعة مقالات كتبتها شخصيات ثقافية وسياسية على البشير الإبراهيمي على غرار الدكتور جميل صليبا، أحمد توفيق المدني، روجي غارودي..إلخ
- كتاب "المثقفون الجزائريون والثورة" للطاهر زبيري .
- كتاب "من سير الخالدين بأقلامهم" ل حسن السماحي سويدان.
- كتاب "الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر" ل: نبيل أحمد بلاسي.

الفصل الأول: التعريف بشخصية محمد البشير الإبراهيمي.

- أولا: مولده ونشأته
- ثانيا : هجرته وحياته الفكرية و العلمية
  1- هجرته إلى المشرق
  2- العودة إلى الوطن
  3- هجرته المشرقية الثانية
- ثالثا: وفاته
- رابعا : آثاره

أنجبت الجزائر عبر تاريخها الطويل شخصيات جليلة ساهمت في صنع الأحداث العظيمة التي مرت بها... ومن بين هذه الشخصيات نجد الشيخ محمد البشير الابراهيمي –رحمه الله– الذي يعتر محور دراستنا هذه ، حيث يُعدُّ من أبرز عظماء الجزائر وعلمائها وخطبائها ومصلحيها الأفاضل ، سخّر حياته كلها للنضال من أجل تحرير وطنه من أغلال الاستعمار الفرنسي البغيض، وجاهد بقلمه مع رفيق دربه الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس و إخوانه ، ضمن إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ترك العديد من الآثار العلمية والقصائد القوية والمقالات الرصينة، أشهرها مقالات " عيون البصائر" التي كان ينشرها أسبوعياً في صحيفة البصائر.

- **أولا: مولده ونشأته :**

ولد محمد البشير الإبراهيمي(ينظر إلى الملحق رقم 6) بقرية "رأس الوادي"[1] بناحية مدينة سطيف بالشرق الجزائري، في 14 يونيو عام 1989[2] (وهي السنة التي ولد فيها كل من الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الطيب العقبي والأديب والمفكر عباس محمود العقاد وطه حسين وغيرهم من العلماء والعباقرة الأفذاذ)[3]، ويذكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله أنه ولد عند طلوع الشمس من يوم الخميس الثالث عشر من شهر شوال عام 1306هـ ، وقد أدرك ذلك من علماء بيته ؛ جده لأبيه الشيخ عمر الإبراهيمي وعمه الشيخ محمد المكي الإبراهيمي [4].

[1]– رأس الوادي حاليا دائرة إدارية تابعة لولاية برج بوعريريج.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997، ج1، ص9.

[3]– ينظر: أنيس منصور : هؤلاء العظماء ولدوا معا ، ط1، دار الشروق، بيروت،1991، ص ص 5–6.

[4]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار ، المصدر السابق، ج5، ص ص298–299.

ينتسب الإبراهيمي إلى قبيلة أولاد إبراهيم المتواجدة بنواحي سطيف ، وهي قبيلة عربية النسب تنتمي في أصولها إلى دولة الأدارسة التي أسسها إدريس بن عبد الله[1] في المغرب الأقصى (172هـ/789هـ)، حيث كان شديد الاعتزاز بأصله العربي[2]، وقد كان الإبراهيمي وحيد والديه من الذكور ، وثالث أختين ، أمه هي حدة بنت محمد [3]، ولم تكن أسرته على سعة من الثراء المادي ، ولكنها كانت أسرة عريقة في العلم والدين والأدب تتوارثه جيلا بعد جيل منذ خمسة قرون[4] .

وعليه فإن الإبراهيمي ولد وترعرع في كنف هذه القبيلة العربية العريقة، الأمر الذي كان له كبير الأثر في تربيته وتنشئته، وفي بناء شخصيته وتشكيل فكره [5]، ويصف الإبراهيمي تاريخ أجداده فيقول: « وكان لأجدادي تاريخ قديم في العلم يرجع إلى قرون، وكانوا مرجعا في الفتيا الدينية، والصلح بين العشائر مهما شجر بينهم من خلاف، وكانوا ملاذا لطلبة العلم لا تخلوا بيوتهم من عشرات طالبي العلم يرحلون إليهم من أقاصي البلاد. فيقومون بإطعامهم وتعليمهم، ومنهم من لا يخرج من بيتهم إلا عالما».[6] وعليه فقد نشأ الإبراهيمي في عائلة جزائرية ذائعة الصيت ، توارث أفرادها العلم أبا عن جد .

في ظل هذا الجو العائلي المحفز ترعرع الإبراهيمي وقضى طفولته الأولى، يقول هو نفسه: «بدأت حفظ القرآن الكريم في الثالثة من عمري على التقليد المتبع في بيتنا الشائع في بلدنا، وكان

---

[1]– إدريس بن عبد الله : هو الإمام القائم بالمغرب الأقصى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، بويع له بمدينة وليلي يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان سنة اثنين وسبعين ومائة للهجرة، وكان أول من بايعه قبائل أوربة، ثم بايعته قبائل المغرب تباعا، أسس جيشا وخرج غازيا فضم عدة مناطق ، توفي مسموما سنة سبع وسبعين ومائة للهجرة. ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تر: كارل يوحن تورنبرغ، دط، دار الطباعة المدرسة،أوبسالة، 1833، ص7–10.

[2]– عبد الحليم مرجي: قضايا تحرير المغرب العربي عند محمد البشير الإبراهيمي وعلال الفاسي(1919–1962)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014–2015، ص 10.

[3]– محمد مهداوي: البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه ، ط1، دار الفكر للطباعة ، دمشق، 1988، ص35.

[4]– عبد الحليم مرجي: المرجع السابق، ص 10.

[5]– بشير فايد: قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان–دراسة تاريخية وفكرية مقارنة–، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009–2010،ص105.

[6]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج5، ص298.

الذي يعلمنا الكتابة ويلقننا حفظ القرآن جماعة من أقاربنا ويشرف علينا إشرافا عاليا عالم البيت بل الوطن كله في ذلك الزمان، عمي شقيق والدي الأصغر الشيخ محمد المكي الإبراهيمي رحمه الله، وكان حامل لواء الفنون العربية غير مدافع، من نحوها وصرفها واشتقاقها ولغتها . أخذ كل ذلك عن البقية الصالحة من علماء هذه الفنون بإقليمنا ...»[1]

وكانت ملامح الذكاء قد ظهرت مبكرة لدى البشير، فأظهر من صغره ميلا شديدا لتحصيل العلم وحبا عميقا للقرآن الكريم. وتوسم الأب والعم في البشير علامات التفوق والنبوغ ، فتعهده عمه[2] وهو ابن السبع سنوات وتولى تربيته وتعليمه بنفسه ، فكان لا يفارقه حتى في ساعات النوم.[3]

حفظ البشير القرآن الكريم وهو ابن تسع سنوات، ودرس علوم العربية على يد عمه الشيخ محمد المكي الإبراهيمي، وكان عالم الجزائر لوقته، وقد عُني بابن أخيه عناية فائقة، وفتح له أبوابا كثيرة في العلم ، حتى إنه حفظ قدرا كبيرا من متون اللغة، وعددا من دواوين فحول الشعراء[4]، فحفظ ألفية ألفية ابن مالك ، وألفية ابن معطى ، وألفيتي الحافظ العراقي في السير والأثر، مجموع جمع الجوامع في الأصول وتلخيص المفتاح للقزويني، ورقم الحلل لابن الخطيب، ومعظم رسائل بلغاء الأندلس أمثال ابن شهيد، ابن برد، وابن الخطيب، مع دواوين المشارقة كالمتنبي والبحتري والطائي.. وغيرها[5].

وبمراجعة هذه الكتب التي حفظها الطالب الناشئ نجد أنه قفز إلى أمهات المصادر العربية دون تمهيد، وكأن بعمه قد بذل جهد الجبابرة في تذليل صعاب هذه المؤلفات [6]، وكان الإبراهيمي

---

[1]– العربي الزبيري، المثقفون الجزائريون والثورة، د ط ، المتحف الوطني للمجاهد ، 1986، ص76.

[2]– عادل نويهض، البشير الإبراهيمي عظيم من الجزائر، د ط ، دار الأبحاث ،1986، ص 18.

[3]– حسن السماحي سويدان: من سير الخالدين بأقلامهم، ط1، دار القادري، دمشق، 1998، ص ص48–49.

[4]– خالد النجار:محمد البشير الإبراهيمي ، شبكة الألوكة ، موجود على الرابط:
https://www.alukah.net/library/0/44043/ ، توقيت الإطلاع 18:29يوم16 أفريل2019، تاريخ الإضافة2012/9/9، ص 4.

[5]– محمد رجب البيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ط1، دار القلم، دمشق ، 1995، ج1، ص ص 256–257

[6]– نفسه، ص257.

صادقا حين قال عنه : "إنه لم يكن يخليني من التلقين العلمي حتى حين كنت أخرج معه في طريق الفسحة والراحة "[1] .

ولما مات عمه تصدر هو لتدريس ما تلقاه عليه لزملائه في الدراسة ، وكان عمره أربعة عشرة عاما[2]، وقد استطاع بفضل ثقافته وسعة اطلاعه أن يجمع حوله العديد من الطلبة الوافدين من جهات مختلفة[3].

وقد كتب بقلمه:« ودمت على تلك الحال إلى أن جاوزت العشرين من عمري فتاقت نفسي إلى الهجرة إلى الشرق، واخترت المدينة المنورة لأن والدي سبقني إليها سنة ثمان وتسعمائة وألف فرارا من ظلم فرنسا، فالتحقت به متخفيا أوائل سنة اثنتي عشرة وتسعمائة وألف كما خرج هو متخفيا».[4]

متخفيا».[4]

- **ثانيا : هجرته وحياته الفكرية و العلمية:**

1- هجرته إلى المشرق :

غادر البشير الإبراهيمي الجزائر سنة 1911 ميلادية، وكان في العشرين من عمره، وكانت وجهته المدينة المنورة، وفي طريقه إليها ، مر بمدينة القاهرة عاصمة مصر ، وأقام بها ثلاثة أشهر قضاها في العلم والتحصيل، وجالس وناقش عددا كبيرا من علمائها و أدبائها ، كالشيخ سليم البشري الذي كان شيخا للأزهر الشريف في ذلك الوقت، والشيخ محمد بخيت، والشيخ يوسف الدجوي[5]، وزار دار الدعوة والإرشاد التي أسسها الشيخ" رشيد رضا "، والتقى بالشاعرين الكبيرين أحمد شوقي وحافظ ابراهيم، وأسمعهما بعض ما يحفظ من قصائدهما[6].

---

[1]- محمد البشير الإبراهيمي : أنا ، نقلا عن عثمان شبوب: الشيخ محمد الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2012، ص13.

[2]- عادل نويهض: المرجع السابق، ص ص18-19.

[3]- العربي الزبيري: المصدر السابق ، ص 77.

[4]- حسن السماحي سويدان : المصدر السابق، ص51.

[5]- عادل نويهض: المرجع السابق، ص ص19-20.

[6]- محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج5، ص 299.

ويصف الدكتور محمد رجب البيومي صاحب كتاب النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين حياة الإبراهيمي بقوله «.. ويخيل إلي أن البشير الإبراهيمي كان يكتفي بالفكرة العامة فقط عن كل أستاذ في حلقته، لأنه كان مُعجَّلا ينشد لقاء أبيه ».[1]

وصل الشيخ الإبراهيمي إلى المدينة المنورة في أواخر سنة اثنتي عشرة وتسعمائة وألف، وهناك أتم دراسته العالية على شيوخ كثيرين منهم عبد العزيز الوزير التونسي، وأحمد الفيض أبادي الهندي،[2] وكان لهذين العالمين أثر عظيم في توجيه الإبراهيمي وارشاده.[3]

وقد لازم الإبراهيمي الشيخ محمد العزيز الوزير التونسي ما يقارب ست سنوات وأخذ عنه الموطأ وفقه الإمام مالك والحديث وبعض أمهات النحو ، ولازم الشيخ حسين أحمد الفيض أبادي ، وأخذ عنه صحيح مسلم.[4] وقد قال الإبراهيمي عنهما :« ولقيت من المشايخ ما شاء الله أن ألقى، ولكنني لم أرَ مثل الشيخين في فصاحة التعبير، ودقة الملاحظة، والغوص عن المعاني، واستنارة الفكر، والتوضيح للغوامض، والتقريب للمعاني القصية».[5]

وأخذ الإبراهيمي علم التفسير عن الشيخ الجليل "ابراهيم الأسكوبي"، والجرح والتعديل وأسماء الرجال عن الشيخ "أحمد البنزرجي"، وأنساب العرب وأدبهم الجاهلي والسيرة النبوية عن الشيخ "عبد الله الشنقيطي" ... ولم يكتف بما كان يتلقاه من كبار العلماء هؤلاء، فراح يتردد على كبريات مكتبات المدينة ، التي كانت تحتوي عشرات الآلاف من الكتب والمخطوطات النادرة.[6]

---

[1]– محمد رجب البيومي: المرجع السابق، ص259.

[2]– نبيل أحمد بلاسي: الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، د ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، ص121.

[3]– خالد النجار: المرجع السابق، ص 4.

[4]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المرجع السابق،ج5، ص299.

[5]– حسن السماحي سويدان: المصدر السابق، ص53.

[6]– بشير فايد: المرجع السابق، ص 121.

ولا شك أن هذا الردح من الزمن الذي قضاه الإبراهيمي في ربوع الحجاز في التحصيل العلمي كان له تأثير مباشر في نمو شخصيته العلمية والثقافية وفي قوة تكوينه الفكري الناتج عن استيعاب واسع وإدراك عميق لنواحي الثقافة العربية الإسلامية.[1]

وخلال إقامة الإبراهيمي بالمدينة المنورة التقى لأول مرة بالإمام عبد الحميد بن باديس خلال موسم الحج لعام 1913م[2] تلته لقاءات أخرى بشكل يومي عقب صلاة العشاء التي كانا يؤديانها معا في المسجد النبوي الشريف، ليستمر سمرهما في بيت الإبراهيمي، طيلة ثلاث أشهر فترة مكوث ابن باديس بالمدينة المنورة، يتدارسان أوضاع المجتمع الجزائري الذي أصابه بلاء الاستعمار والجهل والانحراف الديني من جهة ، ومن جهة أخرى البحث عن الحلول للنهوض بالبلاد والعباد.[3]

ويصف الإبراهيمي هذه الفترة بقوله: «وكانت هذه الأسمار المتواصلة كلها تدبيرا للوسائل التي تنهض بها الجزائر، ووضع للبرامج المفصلة لتلك النهضات الشاملة. وشهد الله على أن تلك الليالي هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود إلا في سنة 1931م».[4]

ولما جاءت سنة 1917 [5] أمرت الحكومة العثمانية بترحيل سكان المدينة كلهم إلى دمشق، بسبب استفحال ثورة الشريف حسين بن علي وعجز الحكومة عن تموين الجيش، فكان الإبراهيمي أول المطيعين لهذا الأمر، وخرج مع والده إلى دمشق شتاء 1917.[6]

---

[1]– محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا ، ط1، دار البصائر، الجزائر، ص35.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار ، المصدر السابق، ج5، ص10.

[3]– العربي الزبيري: المصدر السابق ، ص79–80.

[4]– نفسه ، ص 80.

[5]– يذكر الإبراهيمي في كتابه الآثار ،ج3؛ أن خروجه من المدينة كان آخر سنة 1916، ص 565 .

[6]– حسن السماحي سويدان : المصدر السابق، ص55.

لما وصل الشيخ الإبراهيمي إلى دمشق كان همه الوحيد هو لقاء علمائها الذي سمع شهرتهم في العلم وجهادهم في الإصلاح أمثال: عبد الرزاق البيطار[1] و جمال الدين القاسمي[2] خاصة، وبقية علماء سوريا الذي سمع عنهم أو قرأ بعض مؤلفاتهم.[3]

ولما استقر به المقام بدمشق، أخذ يلقي دروسا في الوعظ والارشاد وفي الحديث والتفسير بالجامع الأموي . وقد مكنه أسلوبه من استقطاب شريحة هامة من أهل المدينة الذين أعجبوا بعلمه الغزير وحفظه الكثير وبراعته في التفسير، عمل بعدها أستاذا للغة العربية في المدرسة السلطانية للصفوف النهائية المرشحة لنيل شهادة البكالوريا ، وهي المدرسة الثانوية الوحيدة في دمشق، وقد كان يُختار للتدريس فيها نخبة من العلماء البارزين من الشام وخارجه ، ثم أصبح أستاذا لآداب اللغة العربية وتطور فقه اللغة ومراحلها وفلسفتها،[4] فتخرج على يده مجموعة من الطلبة النجباء، الذين أصبحوا فيما بعد أعلاما وأقطابا بارزين في دنيا الفكر والأدب والسياسة، نذكر منهم الدكاترة: جميل صليبا ، أمين الريحاني، عدنان الأتاسي... وغيرهم.[5]

وقد بلغ تعلق طلبته به حد زيارته في بيته في العطل المدرسية ، وفي ذلك يقول تلميذه الدكتور جميل صليبا : «كنا نختلف إلى داره خلال العطل المدرسة للاستفادة من علمه، فكان يستقبلنا بلطف ولا يبخل علينا بشيء. وكثيرا ما كان يزودنا بنصائحه وارشاداته بعد الفراغ من شرح

---

[1]– عبد الرزاق البيطار: (1253 – 1335هـ = 1837 – 1916 م) هو عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، عالم بالدين، ضليع في الأدب والتاريخ، عارف بالموسيقى. مولده ووفاته في دمشق. حفظ القرآن في صباه، وتمهر في علومه. اشتغل بالأدب مدة، واقتصر في آخر أمره على علمي الكتاب والسنة. وكان من دعاة الاصلاح في الاسلام، سلفي العقيدة، وقورا، حسن المفاكهة، طيب النفس ، من كتبه "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر". خير الدين الزركلي: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002 ،ج3، ص351.

[2]– جمال الدين القاسمي: (1283 – 1332 هـ) (1866 – 1914 م) جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، الحلاق. عالم مشارك في أنواع من العلوم. ولد بدمشق، ونشأ، وتعلم بها، من أئمة الشام وعلمائها، من تصانيفه الكثيرة: محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم، إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، تعطير المشام في مآثر دمشق الشام، قواعد التحديث من فن مصطلح الحديث، ودلائل التوحيد...إلخ . عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، د ط ، مؤسسة الرسالة ، د ت ، ج ٣ ، ص ص 157–157.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي:الآثار ، المصدر السابق،ج3، ص ص 565–566.

[4]– بشير فايد: المرجع السابق، ص 124.

[5]– حسن السماحي سويدان : المصدر السابق ،ص 56.

المسائل العلمية، لأن علاقتنا به لم تكن كعلاقة التلميذ بأستاذه فقط بل كانت كعلاقة الولد بوالده، والمريد بشيخه»[1]، ويواصل الدكتور ثناءه على الشيخ : « أُعجبنا بسعة علمه وقوة ذاكرته،

واستقامة منهجه ، لأنه كان يملي علينا البحتري وأبي تمام عن ظهر قلب من أولها إلى آخرها، ويقرب معانيها من أفهامنا بالتفسير المحكم والشرح الدقيق والتحليل الأدبي الجميل ، حتى ولَّد في نفوسنا حب اللغة العربية وآدابها ، ولعلنا لم نحب هذه اللغة إلا بتأثير الشيخ أولا ، فقد أحببناه حبا عميقا ، وانتقل هذا الحب منه إلى مادته .. فقد كان أعظم الناس في أعيننا...»[2]

ولما دخل الأمير فيصل بن الحسين دمشق، اتصل بالإبراهيمي وطلب منه أن يعود إلى المدينة المنورة لإدارة وزارة الأوقاف ، لكن الابراهيمي اعتذر عن قبول هذه المهمة ، وآثر العودة إلى وطنه[3].

2- العودة إلى الوطن :

بعدما شارك الإبراهيمي في النهضة العلمية والأدبية القومية في بلاد الشام، عاد إلى الجزائر سنة 1920، وفي مخيلته فكرة حركة تحيي الإسلام والعروبة في الوطن وتنشر العلم، وتبعث الأمة، وقد أعجب بعد وصوله بالنتائج المبهرة التي حققها ابن باديس الذي كان يقود حركة ثقافية صحفية بمدينة قسنطينة. فأقام الإبراهيمي بمدينة سطيف وأنشأ بها مسجدا ومدرسة بعد أن رفض الوظيفة التي عرضت عليه من طرف السلطات الاستعمارية. وقد بدأ الإبراهيمي في إلقاء الدروس العلمية والدينية للطلبة ، وتحرك بين القرى والمدن خطيبا ومحاضرا، فأيقظ العقول وبعث الحياة في النفوس التي أماتها الجهل والتخلف[4].

و يمكن اعتبار العقد الثالث من القرن العشرين هو فترة المخاض الصعب الذي سبق ولادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. فقد كان كل من الشيخين ينشط في مدينة ، ويلتقيان في كل شهر مرة أو مرتين يقيِّمان أعمالهما ويخططان للمستقبل. وهذا ما أثر في نهاية المطاف بتأسيس

---

[1]- جميل صليبا: مقتطفات من مذكرات الدكتور جميل صليبا ، نقلا عن عثمان شبوب ، المرجع السابق ، ص56.

[2]- بشير فايد: المرجع السابق ، ص 125.

[3]- خالد النجار: المرجع السابق، ص 5.

[4]- محمد البشير الإبراهيمي: الآثار ، المرجع السابق، ج5 ، ص10 .

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[1] يوم 5 ماي 1931. وقد كان تأسيس الجمعية [2] في هذا التاريخ بالذات كرد فعل على احتفال الاستعمار بمئوية الاحتلال الفرنسي للجزائر [3].

ومنذ عام 1933تكفل الإبراهيمي بالمقاطعة الغربية من القطر، واختار تلمسان مركزا لنشاطه المكثف، وأسس فيها مدرسة "دار الحديث "سنة1937، التي بنيت على نسق أندلسي أصيل، فكانت مركز اشعاع ديني وعلمي وثقافي.[4]

وعلى إثر هذا النشاط الكبير الذي كان يقوم به الابراهيمي قامت السلطات الاستعمارية باعتقاله ونفيه إلى آفلو سنة 1940، ولما توفي الشيخ عبد الحميد بن باديس –رحمه الله– يوم 16أفريل 1940 تم انتخاب الإبراهيمي رئيسا للجمعية وهو في معتقله ، وأصبح يدير أعمالها من المنفى.[5]

وبعد اطلاق سراحه عام 1943، أصبح قائدا للحركة الدينية والعلمية والثقافية في الجزائر، يجوب ربوعها معلما وموجها ومرشدا . وقد زُج به في السجن بعد أحداث ماي 1945، وبقي فيه عاما كاملا. ذاق الأمرين في زنزانة تحت الأرض حيث الظلمة والرطوبة. وفي سنة 1946 استأنف نشاطه، فبعث جريدة البصائر من جديد في السنة الموالية، كما أسس معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة المعترف بشهادته في جامعات المشرق العربي.[6]

وهكذا فالشيخ الإبراهيمي كان –مع ابن باديس– كالشعلة التي بثت في الجزائر ثورتها الثقافية،[7] الثقافية،[7]

وبعد تلك المجهودات العلمية والأدبية والسياسية التي بذلها الشيخ الإبراهيمي للدفاع عن الهوية الوطنية الجزائرية فكر في إيجاد مخرج للجمعية على الصعيد الخارجي لاستكمال رسالتها وتحقيق

---

[1]– خالد النجار : المرجع السابق، ص 6.

[2]– تم تكليف الإبراهيمي في أول جلسة لها بوضع لائحة داخلية تشرح أعمالها وأهدافها، فكتبها في نحو 147 مادة ، نوقشت في ثماني جلسات من أربعة أيام . ينظر : حسن السماحي سويدان: من سير الخالدين بأقلامهم، ص 62.

[3]– حسن السماحي سويدان : المصدر السابق، ، ص61.

[4]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق،ج1، ص11.

[5]– محمد البشير الإبراهيمي : أنا ، نقلا عن عثمان شبشوب، المرجع السابق، ص 27.

[6]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق،ج1، ص 12.

[7]– روجي غارودي: الإبراهيمي العالم المجدد ، نقلا عن عثمان شبوب، المرجع السابق، ص140.

أهدافها، ومن أجل تحقيق هذا الهدف كانت رحلة الشيخ الإبراهيمي الثانية إلى المشرق الإسلامي بعد الحرب العالمية الثانية يوم 07 مارس 1952م بتكليف من جمعية العلماء.[1]

3- هجرته المشرقية الثانية:

سافر الإبراهيمي إلى المشرق للمرة الثانية عام 1952 ممثلا لجمعية العلماء المسلمين ليسعى لدى الحكومات العربية لقبول بعثات طلابية جزائرية في معاهدها وجامعاتها، وطلب الإعانة المادية والمعنوية للجمعية حتى تستطيع مواصلة أعمالها و جهادها ، والتعريف بالقضية الجزائرية، وقد اتخذ من مصر منطلقا لنشاطاته،[2] وكان الإبراهيمي قد وصل إلى القاهرة في شهر مارس 1952، وشرع في الاتصال بمختلف الهيئات والمنظمات، والشخصيات العربية الاسلامية في القاهرة، باكستان، بغداد، دمشق ، الكويت ، والحجاز، كما نشط بالتعريف بالجزائر من خلال المؤتمرات الصحفية والمحاضرات والمقالات . وقد أسفرت جهوده في هذا الميدان على قبول أكثر من 200 طالب جزائري في معاهد وجامعات مصر، العراق، سوريا، الكويت والسعودية ، إضافة إلى حصول الإمام على مساعدات مالية للجمعية من عدة حكومات عربية. [3]

وبعد اندلاع الثورة التحريرية وجه نداء يوم 5 نوفمبر 1954 إلى الشعب يدعوه فيه إلى الالتفاف حول الثورة المسلحة المجيدة ، وخوض غمار الجهاد المقدس والتضحية بالنفس والنفيس[4]، وقد كان ذلك بمثابة دفعة قوية للثورة .

وبعد الاستقلال وفي أواخر عام 1962، وبعد رحلته المشرقية التي دامت عشر سنوات عاد الإبراهيمي إلى وطنه تاركا ورائه عدة بصمات في كل حقل من حقول العلم والمعرفة والسياسة ، وحين عودته إلى وطنه شارك أبناء وطنه الاستقلال بكل جوارحه، وكان له اتصال مع الشعب

[1]- عبد الحليم مرجي: المرجع السابق، ص17.

[2]- محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج1، ص12.

[3]- محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج4، ص ص 15-16.

[4]-المصدر السابق، ج5، ص12.

الجزائري في اول صلاة أمَّ فيها الجمهور بمسجد كتشاوة ، والتي دعا من خلالها إلى الاتحاد وعدم التفرقة والغرور محذرهم من مخلفات الاستعمار وخطورته على البلاد والعباد.[1]

وفي هذه الفترة شهد الإبراهيمي انتصار " الحزب الواحد" في الجزائر ولم يتمكن من إعادة تشكيل جهاز للعماء مستقل عن السلطة كما كان يتمناه ، فعارض علنا وباسم الدين التوجه الذي أعطاه بن بلة للجزائر،[2] مما حذا بالإبراهيمي إلى التقليل من نشاطه بسبب تدهور صحته من جهة، وبسبب سياسة الدولة التي أحس أنها زاغت عن الاتجاه الإسلامي.[3]

- **ثالثا: وفاته :**

توفي الإبراهيمي يوم الخميس 18 محرم 1385هـ الموافق ل 19 ماي 1965 . عن ست وسبعين سنة قضاها في العلم والجهاد، ودعوة العباد للعودة إلى خالقهم. وخرجت الأمة تودعه بقلوب حزينة وأعين دامعة تعبيرا عن تقديرها لرجل من رجالات الاصلاح فيها ، وأحد بُناة نهضتها الحديثة[4].

وقد أبنه نائبه في رئاسة جمعية العلماء الشيخ "محمد خير الدين" بكلمة جاء فيها : «الله أكبر: هوى نجم البشير، وجف ذلكم الصوت الجهير ، وسكن ذلك القلب الكبير، وجف ذلكم القلم السيال الخطير، وأصبح كل ذلك في حكم التاريخ ... مات محمد البشير الإبراهيمي العالم المحقق الأبل، والكاتب المبدع المفتن ، والخطيب الأشدق المصقع، والمصلح الديني والاجتماعي الموفق، المفكر الحر الجريء، والإمام السلفي الأكبر، والمؤمن المطمئن النفس الصادق الإيمان. »[5]

- **رابعا : آثاره :**

لم يولّ الإبراهيمي أهمية كبيرة لعملية التأليف ، لأنه كرس جل حياته لتربية النشأ وتعليمه، و للإشراف على شؤون جمعية العلماء السلمين الجزائريين التي استلم ادارتها بعد وفاة ابن باديس

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج5، ص ص305–308

[2]– محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عياد ،صالح المثلوني، د ط، موفم للنشر، 1994، ص 179.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق،ج1، ص13.

[4]– خالد النجار: المرجع السابق، ص 11.

[5]– بشير فايد: المرجع السابق، ص 164.

أفريل 1940، وقد أوضح ذلك قائلا:« لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا، ولكنني أتسلى بأني ألّفت للشعب رجالا ، وعملت على تحرير عقوله، تمهيدا لتحرير أجساده، وصححت له دينه ولغته، فأصبح مسلما عربيا، وصححت له موازين إدراكه، فأصبح إنسانا أبيا، وحسبي هذا مقربا من رضا الرب ورضا الشعب ».[1]

ومنه نستخلص أن الإبراهيمي لم يأسف على عدم اهتمامه بالكتابة والتأليف رغم أنه كان في إمكانه أن يؤلف عشرات المؤلفات، في الفقه والأدب واللغة والاجتماع، لأن الوضع الثقافي والعلمي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، المتسم بالانحطاط كان يقتضي التضحية بالطموحات الشخصية لفائدة المصلحة الوطنية العليا.[2]

وقد ذكر نجله أحمد طالب الإبراهيمي أن والده كانت له عدة كتابات ومؤلفات في عدة مجالات، لكنها ضاعت منه إبان الثورة –عندما كان في المشرق– إما عند تلاميذه أو في بيته بالعاصمة حين اقتحمه الجيش الفرنسي سنة 1957 وعاث في مكتبته تخريبا ونهبا، دون أن ننسى تلك المحاضرات والخطب التي كان يلقيها ارتجالا على الملأ دون تسجيل. [3]

ورغم الطابع المحدود لأعمال الإبراهيمي المكتوبة، فإن الشيخ قد اجتذب جيلا برمته من الثقفين الجزائريين، حيث استطاع أن يعيد لبلاغة المنابر شرفا افتقدته منذ زمن طويل في الجزائر. وحتى المشرق اعتبره أحد الكتاب العرب المجددين في القرن العشرين.[4]

وعلى إثر ذلك عمل نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي على جمع وتقديم آثار والده العلمية والفكرية في خمس مجلدات تحمل عنوان "آثار الإمام محمد الشير الإبراهيمي" حيث حملت في ثناياها وطياتها كتابات، محاضرات، دروس، روايات، رسائل ومقالات للشيخ من 1929 إلى 1964.[5]

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: أنا ، المصدر السابق ، ص32.

[2]– بشير فايد، المرجع السابق، ص 166.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق ،ج1، ص 6.

[4]– عبد الحليم مرجي : المرجع السابق، ص 21.

[5]– ينظر : محمد البشير الإبراهيمي : الآثار ،المصدر السابق، ج5، ص ص 21،23.

وقد أورد الشيخ الإبراهيمي عناوين مؤلفاته في مقالة له بعنوان "خلاصة تاريخ حياتي العلمية"، والتي تعتبر خلاصة شاملة لسيرته الذاتية مع ذكره لمؤلفاته التي حصرها في 16 مؤلفا ورسالة نذكر منها :

- عيون البصائر : وهي المقالات التي كتبها بقلمه في جريدة البصائر في سلسلتها الثانية.
- كتاب حكمة مشروعية الزكاة: بدأ به في أيام إقامته بدمشق بعد الحرب العالمية الأولى، وأتمه بعد ذلك في فترات, وبحث فيه ينابيع المال في الإسلام، واستخرج ينابيع أخرى غير منصوصة يلتجئ إليها جماعات المسلمين إذا حَزَبَهم أمر، أو فاجأتهم حادثة.
- كتاب شعب الإيمان : يجمع فيه الأخلاق والفضائل الإسلامية.
- كتاب بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية في الجزائر: تناول فيه بالدراسة أصول اللهجة السائدة في مواطن "هلال بن عامر" .
- كتاب النقايات والنفايات في لغة العرب: جمع فيه كل ما جاء على وزن فعالة (من مختار الشيء أو مرذوله).
- كتاب أسرار الضمائر العربية.
- كتاب الإطراء والشذوذ في اللغة العربية: رسالة في الفرق بين لفظ المطرد والكثير عند ابن مالك.
- كتاب نظام العربية في موازين كلماتها [1].
- رواية كاهنة الأوراس؛ بأسلوب مبتكر يجمع بين الحقيقة والخيال .
- كتاب التسمية بالمصدر .
- كتاب الصفات التي جاءت على وزن " فُعل ".
- فتاوى متناثرة . [2]

[1]– محمد البشير الإبراهيمي : خلاصة تاريخ حياتي العلمية والعملية ، ج5، موقع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، على الرابط :http://www.oulamadz.org/2015/08/08 ، تاريخ الإضافة: السبت 23شوال1436. توقيت الإطلاع 20:06يوم 12أفريل2019.

[2]– المجلس الأعلى للغة العربية : مقتطفات من آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، د ط، المجلس الأعلى للغة العربية، 2009، ص 14.

– "ملحمة رجزية" في التاريخ نظمها في السنين التي كان فيها مبعدا في الصحراء الوهرانية، تبلغ ستة وثلاثون ألف بيت من الرجز السلس اللزومي في كل بيت منه، وقد تضمنت عدة مواضيع، كتاريخ الإسلام ، ووصف لكثير من الفرق التي حدثت في عصرنا هذا، وللمجتمع الجزائري بجميع فرقه ونحله، ووصف للاستعمار ومكائده ودسائسه وحيله وتخديراه للشعوب للقضاء على مقوماتها...الخ.[1]

ولا شك أن هذه لمؤلفات ذات قيمة أدبية ولغوية كبيرة، كان من شأنها أن تثري المكتبة العربية، لو لم تمتد إليها يد الإتلاف والضياع .[2]

نستخلص مما سبق أن الإبراهيمي ولد في كنف عائلة عريقة نسبا وتاريخا ومكانة اجتماعية في الجزائر– رغم التخلف و الانحطاط اللذان كانت تغرق فيهما البلاد بسبب السياسة الاستعمارية – وهو ما هيأ له الظروف المناسبة لكي ينشأ نشأة تربوية وسلوكية وعلمية ممتازة ، كما سمح له بتلقي كم هائل من العلوم الدينية و الدنيوية في ظرف وجيز وسنه لم يتجاوز الرابع عشرة بعد، على الرغم من جهود السلطات الفرنسية لمحو التعليم العربي والإسلامي بالبلاد ، وفي سن العشرين سنة سافر الإبراهيمي إلى المشرق العربي إرضاءً لشغفه بالعلم والمعرفة والإصلاح، تعرف خلالها الإبراهيمي على الواقع العربي والإسلامي المتسم بالتخلف الشديد و الانحطاط الفظيع، عاد بعدها إلى الجزائر وهو يحمل مشروعا تربويا وإصلاحيا وسياسيا طموحا كان من بين نتائجه إعداد الجيل الذي فجر الثورة.

[1]– محمد البشير الإبراهيمي : خلاصة تاريخ حياتي العلمية والعملية ، ج5،المرجع السابق .

[2]– بشير فايد: المرجع السابق، ص168.

الفصل الثاني: كتابات محمد البشير الإبراهيمي التاريخية حول الوطن العربي.

- أولا: تاريخ الإسلام

1- الهجرة النبوية

2- غزوة بدر

3- دور علماء الدين وسلطانهم على الناس

4- قصة العز بن عبد السلام "سلطان العلماء"

- ثانيا: تاريخ المغرب العربي

1- الاحتلال اللاتيني للمنطقة

2- عروبة الشمال الإفريقي

3- الأقطار المغاربية

3-1.تونس

3-2.المغرب

3-3.ليبيا

- ثالثا: تاريخ فلسطين

لم تقتصر كتابات الشيخ البشير الإبراهيمي على قضايا بلاده، بل امتدت لتشمل كثيرا من قضايا ومشاكل العام العربي والإسلامي –على مر العصور– ، فكانت له كتابات تاريخية[1] حول الوطن العربي والأحداث التي تعاقبت عليه. والتي هي محور اهتمامنا في هذا الفصل .

- **أولا: تاريخ الإسلام :**

ترجع صلة الإبراهيمي بالتاريخ الإسلامي إلى كتب السيرة النبوية والغزوات، وحياة الصحابة والتابعين وهذه الصلة ترجع بدورها إلى ثقافته الدينية والشرعية، فمصادره الإسلامية هي القرآن والسنة، وأمهات كتب الحديث، بالإضافة إلى تاريخ الأدب والسياسة والمذاهب والفرق، ومن خلال هذه الثروة اطلع الشيخ على تراجم الرجال، وأصول الأحكام وقواعد الاجتهاد وحركة التأليف والصراع الفكري السياسي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعهد الخلفاء الراشدين، ثم قيام الدولة العربية الإسلامية بعصورها المختلفة بما في ذلك أدوار الدولة المملوكية والدولة العثمانية ودول ملوك الطوائف ودول المغرب العربي خاصة ونحن نلاحظ هذه الثقافة التاريخية الإسلامية عند الشيخ الإبراهيمي من وصفه المسهب لبعض الغزوات مثل غزوة بدر الكبرى ومعانى الهجرة النبوية و الأعياد الإسلامية، وقد تناول الإبراهيمي هذه الأحداث والمناسبات من الناحيتين الدينية والتاريخية، ثم يربط بينها وبين الواقع.[2]

[1]– الكتابة التاريخية : هي عملية متجددة يمارسها كل جيل بالقدرة العقلية التي وصلها و الوثائق المتوفرة لديه والمستجدات الحضارية التي تحيط به، وتخضع الكتابة لما عليه الجيل من ثقافة ووثائق وابداعات حضارية ، فإذا كان الجيل المدون للتاريخ مثقفا جدا فإن انتاجه سيكون مرآة عاكسة لثقافته وقدرته العقلية، وإذا كان متوسط الثقافة أو حتى قريبا من الأمية فإن إنتاجه الكتابي سيكون مرآة له أيضا. وكل جيل يحاول أن يعثر على وثائق جديدة أو يحاول أن يفسر الوثائق المتوفرة تفسيرا جديدا، حسب المعطيات والرؤى التي عليها الجيل الكاتب . وهذا معنى التجديد في الكتابة التاريخية. وعندما توقف المسلمون، والجزائريون بالخصوص ، عن استنطاق الشواهد والوثائق، والاستفادة من المعطيات الحضارية والإنسانية، توقفت أو كادت تتوقف عملية الكتابة التاريخية. وأصبح التاريخ عندهم نوعا من الأدبيات الخرافية والأساطير. أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط خ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ج4، ص7.

[2]– أبو القاسم سعد الله: الثقافة التاريخية عند الشيخ الإبراهيمي، موقع إبن باديس، موجود على الرابط:
https://binbadis.net/archives/228، تاريخ الإطلاع: 12أفريل2019 الساعة: 10:11، تاريخ الإضافة:27 يناير2012.

وفي ما يلي أهم مواضيع التاريخ الإسلامي التي كتب عنها الإبراهيمي :

1- الهجرة النبوية:

إن حديث الإبراهيمي في ثنايا آثاره عن التاريخ لا يخلوا من إلماعات واستنتاجات تدل على عميق فقهه، وعظيم حكمته، وبراعة استشهاده، ويتضح ذلك في مقال "هجرة النبوة من مكة إلى يثرب " [1] الذي تناول فيه هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، حيث ينفذ إلى لطائف القرآن الكريم في حديثه عن الهجرة المحمدية، فسماها "إخراجا" ولم يسمها هجرة بصريح اللفظ،[2] يقول الإبراهيمي: من اللطائف أن القرآن ذكر قصة الهجرة فسماها إخراجا من الذين كفروا ولم يسمها هجرة، وإن سمى الصحابة بالمهاجرين، ونوَّه بالهجرة، وحض عليها، وقرنها بالإيمان، وجعلها شرطا في الولاية . فقال: **(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا)**[3] والحكمة في ذلك أن التذكير بالإخراج من الديار يذكي الحماس، ويبقي الحنين إلى الديار متواصلا، وينمي غريزة الانتقام والأخذ بالثأر. وهذا ما ظهر في بدر والحديبية وعمرة القضاء[4].

تم يضيف الإبراهيمي : « وما زلت منذ درست السيرة بعقلي أقف في بعض مقاماتها على ساحل بحر لجيٍّ من العبر والمثلات؛ ومن بين تلك المقامات حادثة الهجرة. فلا يكاد عقلي يستثير بواعثها الطبيعية، حتى أتلمح العوامل الإلهية فيها فأستجلي من بعض أسرارها التمهيد للجمع بين أصلي العرب اللذين كانا في الجاهلية يتنازعان ملاءة الفخر. ويورث الرؤساء والشعراء بينهما نار العصبية، حتى أضعفتها العصبية، وحتى أطمع الضعف فيها جاريهما القويين: جار الجنوب الحبشي، وجار الجنب الفارسي، وكادا يستعبدان هذا الجنس الحر لولا أن فال رأي أبرهة في الفيل، ومالت رايات الفرس في ذي قار».[5]

---

[1]- نشرت في العدد 14 من جريدة البصائر،17 نوفمبر 1947 ،ص1.

[2]- نجيب بن خيرة: فقه التاريخ عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الملتقى الفكري للإبداع ، موجود على الرابط: http://almultaka.org/site.php?id=751&idC=7&idSC، تاريخ الإطلاع:14أفريل 2019 ، 14:24 .

[3]- سورة الأنفال، الآية72.

[4]- محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3 ، ص473.

[5]- نفسه، ص473.

وفي سياق العبر والعظات من حادثة الهجرة لم ينس الإبراهيمي أن يستدعي من التاريخ تساؤلا يوجه إلى عرب اليوم، مع نقد لاذع يغطيه بعبارات لطيفة فيها الكثير من الحكمة التي يقتضيها المقام[1]، فيقول: «.. وليت يقولها المحزون، فهل تحمل ذكرى الهجرة المتكررة مع كل عام، أولئك اليمانيين الراكدين، وهم جمهرة أنساب قحطان، وأولئك الحجازيين الراقدين، وهم منحدر دماء عدنان، على أن يتداعوا إلى ما تداعى عليه أجدادهم، وأن يتآخوا على ما تآخوا عليه؟ هل يرجعون بالذاكرة إلى بيعة العقبة. فيتبايعون على حماية الحوزة العربية؟ هل آن لهم أن يعملوا أن هذه المذاهب التي صيرتهم أوزاعا في الدين والدنيا هي السبيل المفرقة عن سبيل الله الواحد؟»[2]

وأضاف في الأخير محذرا العرب من الأجانب المستثمرين في البلاد العربية: أن رؤوس الأموال الأجنبية ذات قرون ناطحة، وأن الوطن الذي يعمر بمال أجنبي ويد أجنبي! محكوم عليه بالخراب، وإن تعالت في الأفق قبابه، وكسيت بوشي السماء هضابه، وسالت بذهب الأرض شعابه !! [3]

2- غزوة بدر:[4]

بدأ الإبراهيمي كلامه بالتأكيد على أهمية غزوة بدر في التاريخ الإسلامي لأنها أول غزوة شهدها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه، و لأنها جسدت أول يوم انتقلت فيه الدعوة الإسلامية من اللسان والحجة والنظر إلى السيف والدم ، ونبَّه الإبراهيمي على مواقع العبر في الغزوة وعلى مكامن العظات فيها، وحثَّ المسلمين على الاعتبار والإذكار والتأمل و الاستبصار. ويرى الإبراهيمي أن العبرة البليغة لقومنا العرب في زماننا هذا من وقعة بدر في نصر الله للفئة القليلة على الفئة الكثيرة، بفضل الإيمان الصحيح والقوي لهؤلاء[5]، قال عز وجل (إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ الْآنَ

[1]- نجيب بن خيرة: فقه التاريخ عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، المرجع السابق.

[2]- محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص473-474.

[3]- نفسه ، ص 474.

[4]- كلمة ألقاها الإبراهيمي من إذاعة صوت العرب بالقاهرة، 15 ماي 1955. ينظر: البشير الإبراهيمي، الآثار،ج5، ص 83.

[5]- محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج5، ص 83.

خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِين)[1].

وقد ساق الإبراهيمي هذه العبرة إلى المسلمين والعرب ليعلموا بماذا انتصرت الفئة القليلة يوم بدر، فيعلموا لماذا انكسرت فئتهم الكثيرة يوم فلسطين، وإن في اليومين لآيات لقوم يعقلون ، وأين من يعقل أو من يعي؟ [2]

3- دور علماء الدين وسلطانهم على الناس:

تحدث الإبراهيمي في مقال له بعنوان "عواقب سكوت علماء الدين عن الضلال في الدين"[3] عن دور علماء الدين وسلطانهم على الناس، ورهبتهم ومكانتهم في القلوب والتي استمدوها من روحانية الدين الإسلامي وسهولة مدخله إلى النفوس، ما أدى إلى خضوع العامة لهم طواعية ورغبة، لتيقنهم بأنهم المرجع في بيان الدين وبأنهم لسانه المعبر عن حقائقه، والمبين لشرائعه، وبأنهم ورثة الأنبياء. كما أكد الإبراهيمي على ضرورة استمرار هذا الدور لعلماء الدين لكي يصلح آخر هذه الأمة كما صلح أولها.[4]

وفي هذا المقام يرجع الإبراهيمي إلى التاريخ الإسلامي فيستمد منه حجته وبرهانه، ليصلح به وضعا مزريا آل إليه الدين بعدما لابسته المصالح الشخصية، وذلك في غفلة علماء الدين، الذين وصفهم الإبراهيمي بأنهم يغطون في نومة أربت في الطول عن نومة أهل الكهف والرقيم،[5] يقول الشيخ : «بايع معاوية لابنه يزيد، وحمل الأمة على البيعة له بالترغيب والترهيب والمطاولة، فتم له ذلك؛ ولكنه كان يرى تلك البيعة كاللغو، مالم يبايع العبادلة والحسين، لمكانتهم في العلم ومكانتهم

[1]- سورة الأنفال ،الآيتين 65-66.

[2]- محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج5، ص ص 83-85.

[3]- نشرت في العدد 36 من جريدة البصائر، 17 ماي 1948، ص 1.

[4]- محمد البشير الإبراهيمي : عواقب سكوت علماء الدين عن الضلال في الدين، البصائر، العدد 36، 17 ماي 1948، ص1.

[5]- نجيب بن خيرة : فقه التاريخ عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، المرجع السابق.

في الأمة؛ فعمد إلى الحيلة المستظهرة بالسيف، وكذلك فعل بنو مروان كلما تخلف مثل سعيد بن المسيب[1] عن البيعة ».[2]

ثم علق الشيخ على ما آلت إليه أحوال الأمة عندما اتسعت الهوة بين العلماء والخلفاء بقوله: «حتى انتقل أمرها –أي الأمة – إلى طور آخر، وأصبحت في أيدي الأمراء والقواد والأجناد، وخرجت من يد الخلفاء والعلماء معا. وكأنما كان ذلك عقوبة من الله للخلفاء على تعاليهم، وللعلماء على تنازلهم، وما وقع في البيعة وقع في غيرها من مصالح الأمة التي يتنازعها السلطانان»[3]

4- قصة العز بن عبد السلام "سلطان العلماء":

أكد الإبراهيمي في مقال له بعنوان "أثر الأزهر في النهضة المصرية "[4] على دور الأزهر في النهضات المصرية، وفي الثورات المتعاقبة على مصر ضد الحاكمين من الأمراء المفسدين، وعلى المتحكمين من المستعمرين الغاصبين. وقد كان للأزهر –يضيف الإبراهيمي– دور بارز في صد حملات الأجانب على مصر كحملة نابليون عليها، فوصفه بالمأذنة التي يستشرف الناس إلى سماع كلمة الحق منها.[5]

[1]– سعيد بن المسيب: الإمام العلم، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، ولد سنة 15هـ ، قال عنه علي بن المديني: "لا أعلم في التابعين أحدا أوسع علما من ابن المسيب. هو عندي أجل التابعين"، كان سعيد بن المسيب من أحرص الناس على صلاة الجماعة، فما فاتته الصلاة في جماعة أربعين سنة، وما أذن المؤذن مدة ثلاثين سنة إلا وهو في المسجد، توفي سنة 94 هـ. شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: مأمون الصاغرجي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1982. ج4، ص 217–225.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص309.

[3]– نفسه، ج3، ص309.

[4]– نشرت في العدد 178–179 من جريدة البصائر ، جانفي 1952، ص 2.

[5]– محمد البشير الإبراهيمي: أثر الأزهر في النهضة المصرية، جريدة البصائر، العدد : 178–179، جانفي 1952، ص2.

وليس كالإبراهيمي من يحسن سوق العبرة من الحدث التاريخي، ولا أدل على ذلك من ايراده قصة العز بن عبد السلام[1] "سلطان العلماء" مع مماليك مصر حين طغوا وبغوا، فحكم عليهم ببيع رقابهم، لأنها مملوكة لبيت مال المسلمين.[2] فقد علق الإبراهيمي على ذلك بقوله : إن العز بن عبد السلام قد قوم بكلمته وضعا مقلوبا كان سببا في انقراض كثير من الدول الإسلامية؛ وهو احتكار المماليك لمراتب الإمارة.[3]

ويضيف الإبراهيمي قائلا: «...لو رزق الله بغداد عالما كابن عبد السلام في شجاعته وسمو نفسه، لأنقذ الخلافة العباسية من المماليك الأتراك ببيعهم في سوق الرقيق... ولو رزق الله الاندلس عالما مثله لأنقذ الدولة الأموية فيها من موالي المنصور بن أبي عامر»[4].

فلطالما أحال الإبراهيمي قارئه إلى أحداث تاريخية في العالم الإسلامي كالحروب الصليبية، وظهور الفرق والمذاهب والأحزاب وغارات الدول الأجنبة، مستنتجا منها استنتاجات شجاعة مما يجعله في مقدمة المثقفين ثقافة تاريخية اسلامية عنيفة قل من يشاركه فيها من أبناء جيله، لأن المعرفة التاريخية إذا لم توظف لمصلحة الحاضر والمستقبل فإن المتحف، أو حتى القبر أولى بها[5].

[1]– عبد العزيز بن عبد السلام : هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، شيخ الإسلام والمسلمين، و الملقب بسلطان العلماء، أحد الأئمة الأعلام، وإمام عصره بلا مدافعة، ولد ونشأ في دمشق سنة 577هـ وتوفي 660 هـ عن ثلاث وثمانين سنة. نشأ العز بن عبد السلام في أسرة فقيرة، وكان مجتهدا في طلب العلم، ولى الإمامة في الجامع الأموي ، خرج إلى مصر بسبب غضب سلطان دمشق عليه درس في مدارس مصر ، وتولى القضاء ثم عُزل، كانت حياته كلها جهاداً في إنكار المنكر على السلاطين والأمر بالمعروف . تاج الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، د ط ، دار الكتب العربية، ج8، ص ص 209– 215.

[2]– أبو القاسم سعد الله: الثقافة التاريخية عند الشيخ الإبراهيمي، المرجع السابق.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي: أثر الأزهر في النهضة المصرية ،البصائر، ص2.

[4]– محمد البشير الإبراهيمي: نفسه ، ص2.

[5]– أبو القاسم سعد الله، الثقافة التاريخية عند الشيخ الإبراهيمي، المرجع السابق.

- **ثانيا : تاريخ المغرب العربي :**

1- الاحتلال اللاتيني للمنطقة :

تطرق الإبراهيمي في كلمة له بعنوان "الجزائر المجاهدة"[1] إلى التكالب الاستعماري الأجنبي على منطقة المغرب العربي عامة والجزائر بصفة خاصة، فبدأ حديثه بتقديم وصف للموقع الجغرافي للجزائر قائلا أن هذا الموقع هو الذي رشحها لحمل لواء الجهاد ضد الأمم اللاتينية، وهو يقصد بالموقع تموضعها على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، وبالضبط قبالة مرسيليا. وهو ما جعلها وجيرانها –تونس والمغرب– محل لأطماع الأمم اللاتينية، ويؤكد الإبراهيمي ذلك بقوله: «..والأمم اللاتينية أمم مطامع وفتوح وكبرياء ودماء منذ كانوا، لم يزدها الدين المسيحي السامي الروح إلا ضراوة بذلك لأن طبيعتها المادية المتكالبة غلبت طبيعتها الروحية المتسامحة، وبذلك أصبح دينا رومانيا لا شرقيا»[2] .

ويضيف الإبراهيمي محللا : الإسلام مزج بين العرب والبربر فأخرج أمة جهاد بجميع معانيه، جاهدت على مر العصور الإسلامية لأن الجارين المتقابلين على ضفتي المتوسط أصبح كل منهما بالمرصاد لصاحبه، وانتقل الصراع بينهما من صراع على العيش أو التوسع أو الصراع على الزيت والقمح –وهما المادتان اللتان جلبتا الفتح الروماني لشمال إفريقيا – إلى صراع على الدين زاد شدته أن العرب بدينهم خلفوا الرومان على حضارتهم في إفريقيا، ثم لمسوهم في جبل طارق تلك اللمسة المؤلمة التي تطيروا بها وطاروا فزعا وظنوا أنها القاضية على روما وديانتها وحضارتها وشرائعها.[3]

وهنا تظهر الثقافة التاريخية للإبراهيمي، حيث يظهر وكأنه صاحب اختصاص في تاريخ الحضارات وفلسفة التاريخ ، فقد تحدث عن انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية وفلول نجم الرومان وصعود نجم العرب، كما تناول ضعف الأندلس وملوك الطوائف، وبروز روح الرغبة بالانتقام لدى اللاتين والتي تجسدت على شكل غارات على سواحل المغرب العربي، وفي هذا الوقت تصدرت

[1]– كلمة ألقيت بإذاعة صوت العرب بالقاهرة عام 1955، ينظر : محمد البشير الإبراهيمي ، الآثار،ج5، ص ص 76–79.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج5، ص76.

[3]– نفسه،ج5، ص 76–77.

الجزائر الجهاد ضد الصليبيين سواءً منظما على أيدي الدول أو غير منظم –وهو الدائم الذي لا ينقطع– عن طريق "الرباط" الذي وصفه بأنه يشبه حرب العصابات، وبذلك كانت الثغور الجزائرية دائما عامرة بالمرابطين الذين نذروا أنفسهم لله ولحماية دينه، ولم ينقطع دور الرباط في نظره إلا عند الاحتلال الفرنسي. هذا الأخير الذي وصفه بالمدبر من أجل إعادة شمال إفريقيا لاتينيا كما كان قبل الإسلام .[1]

كما ألقى باللوم على العرب جراء سكوتهم عن هذه الفاجعة –الاحتلال الفرنسي للجزائر– وحذرهم بقوله : « أن ضياع الجزائر مؤذن بضياع غيرها .. كما يقول الشاعر : وانخنست تركيا قانعة بالموجود وما درت أن الموجود اليوم مفقود غداً»[2] .

2– <u>عروبة الشمال الإفريقي</u> :

أثبت الإبراهيمي عروبة الشمال الإفريقي معتمدا على مسلمات التاريخ فيقول: « كأن الجزيرة العربية أم رؤوم لهذا الشمال ، تعده فلذة من كبدها، فهي تعطف عليه، وتحن إليه.. حنت عليه في فترة غابرة من التاريخ، فرمته بقبائل يمانيين، من بنيها الميامين، ينقلون إليه الدماء والخصائص، والمكارم والمفاخر، وحنت إليه بعد الإسلام، فأوفدت إليه الغر البهاليل من أصحاب محمد، يحملون الرحمة و السلام والبيان، ويفتحون الأفكار والعقول والأذهان». ويتابع ملاحظة الصلات التاريخية والبشرية ، فيقول: « وما كانت غارة هلال بن عامر في المئة الخامسة للهجرة إلا تلقيحا لتلك الدماء التي أثرت فيها مؤثرات الهواء والتربة، وطول الثواء والغربة، وعمل فيها تداول الأمم الفاتحة وتعاقب الدلاء الماتحة ».[3]

يذكر الإبراهيمي أن العروبة بقوتها و روحانيتها وأدبها وسمو خصائصها ساهمت إلى حد كبير في القضاء على البربرية التي كانت منتشرة في الشمال الإفريقي، ومما زاد العروبة تثبيتا وتمكينا في هذا الشمال الأبجدية العربية الشائعة التي حفظت أصول الدين، وحافظت على مستوى اللغة، ودونت الآداب والشرائع، وكتبت التاريخ، وفتحت الباب إلى العلم، وكانت السبيل إلى الحضارة.

---

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج5، ص 77– 78.

[2]– نفسه،ج5، ص 78.

[3]– شكري فيصل: قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي، نقلا عن عثمان شبوب، المرجع السابق، ص171.

كل هذه العوامل سيرت هذا الشمال عربيا قارَّ العروبة على الأسس الثابتة من دين عربي، ولغة عربية، وكتابة عربية، وآداب عربية.. وجاء التاريخ –وهو الحكم في مثل هذا– فشهد وأدى[1].

كما أشاد الإبراهيمي بدور الدول التي قامت في المنطقة وحافظت على ميولها العربية– كاللمتونية، والرستمية والموحدية والصنهاجية والمرينية والزيانية– قائلا أن هذه الدول ليس لها من البربرية إلا النسبة العرقية، وهي فيما عدا ذلك عربية صميمة: عربية في الضروريات المقومة للدولة ، كوظائف القلم من إدارية ومالية، و وظائف القضاء من عقود وسجلات، وعربية في الكماليات التي تقتضيها الحضارة والترف، كالغناء والموسيقى والشعر.. الخ [2]

إن هذه العروبة التي صيرت شمال إفريقيا وطنا واحدا، لم تفرقه إلا سياسة الخلاف في عصوره الوسطى والاستعمار الفرنسي في العهد الحديث، حيث أنكر هذا الأخير عروبة الشمال الإفريقي بالقول، ويعمل لمحوها بالفعل، ويرمي في جميع أعماله إلى توهين العربية بالبربرية، وقتل الموجود بالمعدوم، ليتم له ما يريد من محو واستئصال لهما معاً. ومن أباطيل الاستعمار وتفاهته في نظر الإبراهيمي أن يسمي السوداني المتجنس بالفرنسية لتوه: فرنسيا، بينما ينكر على البربري الذي مر عليه ثلاثة عشر قرنا وزيادة من الاستعراب أن يكون عربيا، ثم يتساءل الإبراهيمي أيها أقرب إلى الواقع: البربري المستعرب، أم السوداني المتفرنس؟ وأيها أنفذ؟ أحكم الله، أم حكم الإستعمار؟[3]

3– الأقطار المغاربية :

تناول الإبراهيمي من الناحية التاريخية موضوعات عديدة حول أقطار المغرب العربي غير الجزائر مثل تونس والمعرب وليبيا.

3–1. تونس:

توطدت الروابط العلمية والثقافية والسياسية التي كانت بين الإبراهيمي وتونس ، وتعززت أكثر بعد إنشاء معهد ابن باديس التابع لجامع الزيتونة ، وبحكم هذه الصلات المتعددة كان الإبراهيمي

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص428.

[2]– نفسه،ج3، ص428–429.

[3]– نفسه، ج3، ص ص 429–430 .

يعتبر نفسه معنيا بجميع ما يجري في تونس من أحداث سياسية وعلمية وفكرية ، متابعا لها ومعالجا لأهمها في مقالاته التي كان ينشرها في جريدة البصائر، لذلك نجد أن الإبراهيمي جنّد قلمه لمساندة القضية التحررية التونسية ، ففي مقال له بعنوان " كوارث الاستعمار "، عبر عن امتغاصه وحزنه الشديد للتجاوزات التي تسبب فيها الاستعمار الفرنسي في تونس ، مبديا تأسفه لعدم مشاركة البصائر في أحزانها قائلا : "فات البصائر بسبب عطلة المطبعة أسبوعين في آخر رمضان أن تشرك الأمة التونسية في إعلان الحزن على ما أصابها في العهد الأخير من كوارث الاستعمار التي تجلت في الحادثتين الداميتين؛ حادثة جبل الجلود وحادثة صفاقس ".[1]

ومن بين القضايا التونسية التي كتب فيها الإبراهيمي مسألة إضراب التلاميذ الزيتونيين ، وهو الإضراب الذي دام فترة طويلة وظهرت على إثره "حركة صوت الطالب الزيتوني" ، وقد جاء ذلك في مقالة الإبراهيمي الطويلة " أإضراب ما صنعتم أم إطراب"[2] .

وعندما تم اغتيال الزعيم التونسي "فرحات حشاد" الأمين العام للاتحاد التونسي للشغل بتاريخ 25 ديسمبر 1952 استنكر الإبراهيمي هذا العمل وأعرب للأشقاء التونسيين عن أحر التعازي والتضامن مع الشعب التونسي في قضيته الوطنية العادلة التي هي قضية المغرب العربي ، كما طالب الولايات المتحدة الأمريكية وهيئة الأمم المتحدة بالتدخل لوضع حد للأعمال الوحشية التي يرتكبها الفرنسيون في تونس ، وهو يهدف بذلك إلى التعريف بالقضية التونسية على الصعيد الخارجي ولفت أنظار الدول الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية [3]، وقد أدت مجهوداته إلى إعادة طرح القضية التونسية أمام جمعية الأمم المتحدة بتاريخ 17 فيفري 1952 [4].

وعندما اعتقلت السلطات الفرنسية الحبيب بورقيبة وعدة زعامات دستورية في إحدى مظاهرات المدن التونسية وقف الإبراهيمي إلى جانب بورقيبة ، حيث بعث برسالة من مكتب الجمعية إلى

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج2 ، ص 169.

[2]– أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق،ج4، ص153.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج4،.ص ص153–154.

[4]– عبد الحليم مرجي: المرجع السابق، ص156.

سفير الحكومة الفرنسية استنكر فيها المعاملة القاسية للزعيم التونسي ليس لشيء الا لأنه طالب بحقوق بلاده .[1]

3-2. المغرب:

تناول الإبراهيمي من خلال كتاباته جانبا من تاريخ المغرب الأقصى ، فتحدث مثلا عن العرش المحمدي العلوي وأرجعه إلى ادريس الأكبر وأبناء علي ، وربطه بقبائل البربر التي خرج منها وساندته مثل لمتونة وهنتاتة وبني مرين ، وقال إن هذا العرش قد وصل امتداده الى غاية برقة.

وقد تحدث الابراهيمي عن تاريخ المنطقة التي لعب فيها أشراف المغرب دورا بارزا ، فمدح الإبراهيمي هذا العرش ، وأرجع له الفضل في حماية لغة الضاد و الدين من المعتدين . وفي رعاية العلم وتقدير البيان ، فأخرج هذا العرش أعلام في الأدب و البيان ، ونوابغ في الفقه والتشريع ، و أساطين في الفلسفة و الحكمة ، و أثبات في التاريخ.[2]

وببروز الحركات التحررية في المغرب جند الإبراهيمي قلمه لمساندتها ، فهاجم مثلا السياسة البربرية الفرنسية في المغرب الأقصى لما أصدرت السلطات الفرنسية "الظهير البربري" بتاريخ 1930/05/1 واعتبر أن هذا القانون ينكر عروبة الشمال الإفريقي بالقول والعمل.[3]

كما هاجم محمد البشير الإبراهيمي الموالين للاستعمار الفرنسي كالتهامي الجلاوي الذي أخذ نصيبا واضحا من الفضح و الهجوم لموقفه من العرش العلوي، ومن مساندته للإدارة الاستعمارية على حساب الحركة الوطنية في المغرب،[4] فقد وصفه الشيخ الإبراهيمي في مقال له بأنه إبليس ينهى عن المنكر [5]وفي مقال آخر على أنه إبليس يأمر بالمعروف.[6]

وبإقدام فرنسا على خلع محمد الخامس أصدر محمد البشير الإبراهيمي برقية احتجاجية إلى الحكومة الفرنسية حول تصرفها الدنيء، جاء فيها: "أعمال حكومتكم الاستعمارية في المغرب

---

[1]- عبد الحليم مرجي: المرجع السابق ص 157.

[2]- محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص397.

[3]- عبد الحليم مرجي: المرجع السابق، ص 141.

[4]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق،ج4، ص151.

[5]- ينظر : الإبراهيمي: الآثار، ج3 ً، ص ص414-417.

[6]- نفسه، ص ص 418-421.

الأقصى أثارت غضب العالم الإسلامي كله على فرنسا ، وحركت فيهم روح الانتقام ، لأن كل ما تفعله حكومتكم ضد جلالة السلطان يعد تعديا شنيعا على سلطة دينية شرعية ونقضا حتى لاتفاقيات الحماية المفروضة الجائرة ".[1]

ويصور الإبراهيمي تأثره الشديد مما أصاب المغرب الأقصى الشقيق –نفي زعيمها الملك محمد الخامس– فيصب غضبه على الاستعمار الفرنسي، وكله ألم وحسرة على العرب؛ لأنه يرى في ذلك إهانة للعرب قبل أن تكون للمغرب:« وحلت المنحنة بالمغرب الأقصى، وجاءت فرنسا بالخاطئة، فأهانت ملكا، وعددت عرشا، وأذلت شعبا، وروعت سربا، وانتهكت حرمات، واعتقلت أحرارا، وكبتت أصواتا، وحطت أعلياً من مراتبهم ونصبت أدنياء في غير مناصبهم، واستعانت على العقلاء بالسفهاء...» [2]

3-3. ليبيا:

جاء حديث الإبراهيمي على ليبيا على شكل سلسلة مقالات لم تخل من إشارات تاريخية لتاريخ المنطقة، فنجده مثلا في مداخلة له بعنوان "كلمة إلى الشعب الليبي"[3] تحدث عن أهمية ليبيا وتاريخها الحافل فيقول: فقد كانت ليبيا ومازالت كما وضعها الله جسرا بين الشرق والغرب، مر عليها الفاتحون من أسلافنا يحملون إلينا الهدى ودين الحق، ومرت عليه مواكب العروبة ممثلة في بني هلال بن عامر بن صعصعة، فعلى سهول أرضكم مرَّ عقبة بن نافع فاتحًا وأبو المهاجر منبتًا، وحسَّان معمرًا ومطهرًا للبقعة، وطارق موسعًا للرقعة، وعليها مر إدريس ليغرس في المغرب شجرة النبوة وعبد الرحمان ليقيم الخلافة المروانية.[4]

ولم ينس الإبراهيمي الرحالة و الحجاج الذين أقاموا في ليبيا وعبروها وهم في طريقهم الى مراكز العلم والحج ، وقد ذكر منهم ابن بطوطة و العياشي و العبدري و الفهري والتيجاني و الورثلاني، كما ذكر منهم رواد في الشعر الملحون استطاعوا وصف ركب الحج وصفا دقيقا ، ثم جاء على

---

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج4، ص 235.

[2]– لبنى دلندة: : الفنون النثرية في آثار البشير الإبراهيمي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة،2015–2016، ص ص151–152.

[3]– كلمة ألقيت بإذاعة صوت العرب بالقاهرة، 1953، ينظر الإبراهيمي : الآثار، ج4، ص238.

[4]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق،ج4 ، ص239.

أسماء المدن والبلدات الليبية التي شهدها هؤلاء أو عاشوا فيها زمنا . بالإضافة الى ذلك أطال في وصف الكفاح الليبي في مقاومة الاحتلال الايطالي وصف خبير بالاستعمار ومقاومته.[1]

كما يرى الإبراهيمي أن الليبيين تجرعوا عدة مرارات في جيل واحد ، مرارة الإهمال في العهد التركي، ومرارة الاستعباد في العهد الإيطالي ، وهاهم أولاء يتجرعون مرارة التنكر من حلفاء دلوهم بغرور ، وسجروا بهم التنور ، ثم أخلفوا الوعد ، ونقضوا العهد ، بالإضافة الى تأخر استقلالها الى سنة 1952. [2]

وكان للإبراهيمي موقف مما جرى في ليبيا وكابده شعبها من أهوال وهو يقارع العدو ، وكتب في هذا الشأن مقالين ، الأول بعنوان : "ليبيا–موقعها منا– " و الثاني بعنوان "ليبيا–ماذا يُراد لها–" وقد أبدى خلالها تعاطفه مع قضية هذا البلد العربي مع الاحتلال ، وحث الشعب الليبي على مواصلة النضال خصوصا وأن النصر لم يعد ببعيد.[3]

وفي نظر الإبراهيمي أن ما آلت إليه ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية وضع خطير وامتحان عسير تتخلله الأطماع الأجنبية البريطانية والفرنسية وحتى الأمريكية، ولا يمكن لليبيين أن يخرجوا من هذا المأزق إلا بوحدة الصف ، والحذر الشديد ، والإيمان العميق بقضيتهم ، لأن قبل الحرب كان الليبيون يواجهون عدوا واحد بينما اليوم يواجهون ثلاثة أعداء متشاكسي المصالح، متباينيي المطامع، متظاهرين بالتقوى والعدل، والنصيحة الرشيدة للمستضعين ، ولكنهم متفقين على الاستغلال لا الاستقلال.[4]

وحين أرادت حكومة ليبيا أن تتعاقد مع الإنجليز، قدم الإبراهيمي تحذيرا لهم ولعموم الشعب الليبي واصفا الإنجليز بأنهم مفترسين ملطخين بدماء المسلمين، وضعوا أقدامهم النجسة على البقاع الطاهرة من أرض المسلمين؛ في "القناة " من مصر، وفي "الحبانية" من العراق، وفي

---

[1]– أبو القاسم سعد الله : الثقافة التاريخية عند الشيخ الإبراهيمي، المرجع السابق.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص 404.

[3]– يوسف العايب : تجليت ثقافة المقاومة في فكر محمد البشير الإبراهيمي، علوم اللغة العربية وآدابها ، مج11، العدد1، 18 مارس 2019، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي، ص 189.

[4]– قرين مولود : البعد القومي في فكر الشيخ البشير الإبراهيمي، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 16، كلية الآداب واللغات ، جامعة البليدة، مارس 2017، ص 188.

"المفرق" من الأردن، ومازالوا جاثمين على الشواطئ الشرقية لجزيرة العرب، ومازالوا يماطلون في السودان بالوعد الباطل، ويضيف الإبراهيمي في وصف المعاهدة قائلا: «إنها ليست معاهدة... إنها استعمار جديد أشنع من الاستعمار الإيطالي الذي بلوتم مُره وعانيتم شره... إنها تمكين اخياري للعدو من رقابكم.. إنكم ستصبحون بسببها غرباء في أوطانكم مستعبدين لأعدائكم..»[1]

- **ثالثا: تاريخ فلسطين** :

لم يقتصر اهتمام الشيخ الابراهيمي بقضايا الشعب المسلم في الجزائر وحسب بل تعداها وأظهر اهتماما بالغا بأوضاع المسلمين عامة في مشارق الأرض ومغاربها ، وخاصة قضية فلسطين التي جند لها قلمه نظرا لأهميتها البالغة ومكانتها الدينية وصراع اليهود عليها منذ الأزل إلى الآن ، فكارثة فلسطين لا تخص أهلها فحسب ، ولكنها تحتل المقام الأول ضمن قضايا المسلمين ، لذلك نجد أن الإبراهيمي وقف من قضية فلسطين موقف المجاهد الفذ الباسل الذي لا يهاب العدو، وسال مداده رقراقا غزيرا في شأنها المعاصر وتاريخها الغابر، وكتب فيها مالا يقل عن عشر مقالات ذات صبغة تاريخية، سدد فيها سهام النقد إلى المتخاذلين من حكام العرب وشعوبهم مبصرا إياهم بخدع الصهاينة والمحتلين، راسما لهم طريق الخلاص وسبل النجاة .[2]

والحق أنه قلما عالج قلم عربي قضية فلسطين بالصراحة والواقعية التي عالجها بها محمد البشير الإبراهيمي، واعترافا بذلك تلقى الشيخ الإبراهيمي رسالة من مفتي فلسطين محمد الأمين الحسيني عام 1948 أثنى فيها على جهود جمعية العلماء الجزائرية العربية والإسلامية[3].

[1]– البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج4، ص 240.

[2]– يوسف العايب: المرجع السابق، ص 189.

[3]– فهد مسلم زغير: محمد البشير الإبراهيمي ودوره الفكري والسياسي (1965–1989)، مجلة ديالى، العدد 63، قسم التاريخ، الجامعة المستنصرية، 2014، ص477.

ومن بين مجمل مقالات الإبراهيمي حول قضية فلسطين نذكر :

- **تصوير الفجيعة** [1]:

يصور الإبراهيمي في هذا المقال مشاعر العرب والمسلمين إزاء ما يجري في فلسطين في تلك الفترة التي بدأت فيها معالم نكبة فلسطين في الوضوح مع تزايد النشاط الإرهابي العسكري للعصابات الصهيونية في فلسطين، ويصف الإبراهيمي في هذا المقال مشاعر الجزائريين بالذات فيقول : « يا فلسطين ... إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحا دامية، وفي جفن كل مسلم جزائري من محنتك عبرات هامية ، و على لسان كل مسلم جزائري في حقك كلمة مترددة هي: فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير قبل أن تكون قطعة من وطني العربي الصغير»[2]. فالإبراهيمي هنا يوضح مكانة فلسطين لدى العرب والمسلمين فيقول أن فلسطين أرض عربية لأنها قطعة من جزيرة العرب، حيث استقر فيها العرب أكثر مما استقر اليهود، وتمكن فيها الإسلام أكثر مما تمكنت اليهودية، وغلب عليها القرآن أكثر مما غلبت التوراة، وسادت فيها العربية أكثر مما تمكنت اليهودية.[3]

وأضاف شارحا مكانة فلسطين في نفس كل مسلم : «يا فلسطين إذا كان حب الأوطان من أثر التراب والهواء ، والمآرب التي يقضيها الشباب، فإن هوى المسلم لك أن فيك أولى القبلتين، وأنك كنت نهاية المرحلة الأرضية وبداية المرحلة السماوية، من تلك الرحلة الواصلة بين السماء والأرض صعودا بعد رحلة آدم الواصلة بينهما هبوطا»[4].

وقد تكلم الإبراهيمي في هذا المقال عن الفتح الإسلامي لفلسطين الذي ظهرت بوادره بغزوتي تبوك ثم مؤتة إلى غاية دخول الإسلام الذي طهر الأرض من رجس الرومان كما طهر شبه جزيرة العرب من رجس الأوثان.[5]

---

[1]– نشرت في العدد رقم 05 من جريدة "البصائر" بتاريخ 5 سبتمبر 1947، ص 1.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص 435.

[3]– نفسه ،ج3، ص 435.

[4]– محمد البشير الإبراهيمي : تصوير الفجيعة–فلسطين–، البصائر، العدد 5، 5 سبتمبر 1947، ص1.

[5]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج5، ص435.

ويدافع الإبراهيمي في مقاله عن أحقية العرب بفلسطين بحجج تاريخية دامغة حيث ذكر أن ثلاثة عشر قرنا –استقر فيها الإسلام في فلسطين– كانت كافية لإثبات أحقية العرب بفلسطين، وأن أحق الناس بمدافن الأنبياء هم الذين يؤمنون بجميع الأنبياء، كما أورد أن العرب لم ينزعوا فلسطين من اليهود، ولم يهدموا لهم فيها أي دولة قائمة ، وإنما انتزعوها من الرومان وبالتالي فهم أحق بها من كل إنسان.[1]

ووضح الإبراهيمي هنا مكانة فلسطين لدى العرب والمسلمين فيقول أنها عربية لأنها قطعة من جزيرة العرب، حيث استقر فيها العرب أكثر مما استقر اليهود، وتمكن فيها الإسلام أكثر مما تمكنت اليهودية، وغلب عليها القرآن أكثر مما غلبت التوراة، وسادت فيها العربية أكثر مما تمكنت العبرية، وما الانتداب الإنجليزي إلا باطل، وما منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن–مجلس الغبن كما وصفه – إلا علل لا تسكت ولا تسكن، وما استمرار الهجرة إلا مد للحمأة وتأريث للنار، ومن ضاقت به رحاب الدنيا لا تسعه فلسطين، أما حجة التشريد والمشردين من اليهود فهي باطلة، فإذا ما أخذنا الحجة كقاعدة كان مشردي العرب أحق بها، وما أكثرهم.[2]

وقد فضح الإبراهيمي في مقاله هذا الاستراتيجيات التي تتبعها الصهيونية لتحقيق أهدافها، فذكر أنها تعتمد على المال لتشتري به الضمائر والسلاح والأرواح، وتشتري به السكوت والنطق، وتشتري به الحكومات والشعوب، كما تلجأ إلى الحيلة والتباكي والتصاغر في حين، وعلى التنمر والإرهاب في فرصته . ويأتي بعدها الإبراهيمي إلى وصف حب الصهاينة واليهود للحياة، فقد وعدهم الله بالأرض المباركة فجبنوا وقالوا لموسى (إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ) لذلك فإنهم لم يثقوا بوعد

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص 436،437.

[2]– نفسه، ج3، ص 437.

بلفور[1] لولا الحماية التي وفرها لهم الاستعمار الإنجليزي بفلسطين لقاء مساعدتهم المادية لبريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى.[2]

وبعد أن أثبت الشيخ وبالأدلة الدينية والتاريخية الدامغة انتساب فلسطين وانتمائها إلى أرض العروبة والاسلام، وأسقط ادعاءات الصهاينة في نسبة البلاد إليهم، توجه إلى العرب والمسلمين داعيا إياهم لنصرة فلسطين ناصحا إياهم بالاتحاد ونبذ الفرقة بينهم للتصدي للمحتل الصهيوني ودحر كل مخططاته، فيقول: «أيها العرب ، إن قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائركم وهممكم وأموالكم ووحدتكم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم، وإنما هي للعرب كلهم، وليست حقوق العرب فيها تُنال بأنها حق في نفسها، وليست تُنال بالهوينا والضعف، وليست تنال بالشعريات والخطابيات، وإنما تنال بالتصميم والحزم و الإتحاد والقوة »[3].

ولكن يؤكد الإبراهيمي دَين فلسطين على العرب والمسلمين وواجب نصرتها واسترجاعها من أيدي اليهود الغاصبين فيعلن قائلا: «إن فلسطين وديعة محمد عندنا وأمانة عمر في ذمتنا وعهد الإسلام في أعناقنا، فلئن أخذها اليهود منا ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون ».[4]

وصف قرار تقسيمها [5]:

هذه المقالة كتبت ونشرت بعد حوالي شهرين من إصدار هيئة الأمم المتحدة لقرار تقسيم فلسطين، هذا التقسيم الذي كان الإبراهيمي قد نبَّه منه العرب في مقالته السابقة.. لكن لا حياة لمن تنادي .

---

[1]– وعد بلفور: وعد صادر عن وزير خارجية بريطانيا جيمس آرثر بلفور يوم 2 نوفمبر 1917، مما جاء فيه: " إن حكومة صاحب الجلالة بعد أن أقرت أهداف المنظمة الصهيونية تقبل مبدأ الاعتراف بفلسطين كوطن قومي للشعب اليهودي " ، وقد وافق لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني على هذا المشروع وأحاله على وزارة الحرب. محمد بوذينة: موسوعة أحداث العالم في القرن العشرين، مج2 1910–1919 ، الشركة الجديدة للطباعة والصحافة، تونس، د ت، ص219.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص ص 437–438.

[3]– نفسه، ج3 ، ص 438 .

[4]– يوسف العايب: المرجع السابق، ص189.

[5]– مقالة نشرت في العدد 21 من جريدة "البصائر" بتاريخ2 فيفري 1948، ص1.

بدأ الإبراهيمي كلامه بالتأكيد على عروبة وإسلامية فلسطين، وبتذكير العرب والمسلمين بأمجادهم التاريخية، وبكيد الغرب الذي يوالي اليهود والصهيونية ودليل ذلك اجتماعه في المجلس الأممي –المتحد على باطل– وموافقته على قرار تقسيم فلسطين . ووصف الإبراهيمي قرار التقسيم هذا بأنه قرار ظالم وتحدي صارخ للعرب والمسلمين في حقهم ودينهم [1]. إذ يقول : «...أسفر الانتخاب عن تقسيم فلسطين تحديا للعرب وحقهم ، وللمسلمين ودينهم، فكان حظ اليهود منها –بغير انتخاب ولا قرعة– الجهات الخصبة، المتصلة بالعالم... وكان حظ العرب منها الجهات الرملية القاحلة والجبلية الجرداء، وكان حظ بيت المقدس إرثا لأحفاد الصليبيين، فلا اليهود به فازوا ولا العرب إياه حازوا...»[2].

كما عقد الإبراهيمي مقارنة بين مسلك اليهود و مسلك العرب تجاه التقسيم، فأظهر استعداد اليهود لقرار التقسيم بالمال، والرجال، والعمال، و سرعة الوقت ، وقد قوبلت هذه الاستعدادات اليهودية من الجانب العربي بالضعف والتخاذل والأقوال الجوفاء.[3]

وتظهر النظرة العميقة للإبراهيمي في تحليل الظواهر عندما وصف المجلس الأممي بأنه اتحاد على الباطل، وأن تأسيسه كان من طرف الدول المنتصرة –على النازية والفاشية– في الحرب العالمية الثانية للسيطرة على الدول الضعيفة وليس لخدمة العدل والسلام، فهذا المجتمع الأممي يمشي –حسب الإبراهيمي– على أرجل مريضة ضعيفة لا خير فيها.[4]

وفي هذا المقال رجع الإبراهيمي إلى الأسباب التاريخية التي جعلت القضية الفلسطينية تصل إلى هذه الدرجة من الخطورة بقوله: «... يا قوم! ما ظلمت فلسطين يوم قُسِّمت، ولكنها ظلمت يوم بذل بلفور وعوده للصهيونيين باسم حكومته، وما منَّا –أهل هذا الجيل– إلا من شهد يوم الوعد، وشهد يوم التقسيم، وشهد ما بينهما .. فانظروا ماذا فعل الصهيونيون من يوم الوعد إلى يوم

[1]– نبيل أحمد بلاسي: المرجع السابق، ص129.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص 440 .

[3]– نبيل أحمد بلاسي: المرجع السابق، ص 129.

[4]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص 441 .

التقسيم، وانظروا ماذا فعلنا »[1]. وبالتالي نجد أن الإبراهيمي حمل العرب مسؤولية التقسيم بسبب تخاذلهم واستهانتهم بوعد بلفور.

وقد قارن الإبراهيمي بين وعد بلفور الصادر عن وزير خارجية بريطانيا و وعد بريطانيا للشريف حسين بخلافة شاملة في شبه الجزيرة العربية شرط إعلان الحرب على الأتراك ، وبيَّن أوجه الاختلاف؛ إذ أن بريطانيا التزمت بوعدها الأول في حين تنكرت للثاني، وقد فسر الإبراهيمي ذلك بالفوارق العظيمة الموجودة بين العرب واليهود وكذا التضاد الموجود بين وعود الإنجليز لنا ووعودهم علينا .[2]

- **العرب واليهود في الميزان عند الأقوياء[3] :**

تعجب الإبراهيمي في هذه المقالة للغرب الذي غرته المادة وبريق الذهب فناصر الصهاينة على حساب العرب، ووضح الإبراهيمي أن ترسيم اليهود بأرض فلسطين لم يكن حبا فيهم وإنما لتعريضهم لمزيد من الذبائح التي كانت قد أصابتهم من قبل على يد الآشوريين، واليونان والرومان[4].

كما تعجب الإبراهيمي من غباوة اليهود، كيف يفضلون وجبة الموت المسمومة التي منحهم الغرب إياها، على طعم الحياة السعيدة التي عرفوها في ظل العرب والمسلمين؟ ! كيف يأمنوا أحفاد من أذوهم يوما؟ ! إن الغرب لا يريد الخير لهؤلاء اليهود بوضعهم في فلسطين[5] ويؤكد ذلك بقوله «ليس برحيم من ألقاك في الجحيم»[6].

ويمضي الشيخ في تحليل إشكالية تاريخ فلسطين، وتعاقب الأقوام عليها، فيلاحظ أن حظها كان في أدوار الزمن وأطوار التاريخ، وعصور الفتوحات، حظ العقيلة الكريمة تُؤخذ في ميدان البطولة

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص 441.

[2]– نفسه، ص 441.

[3]– مقالة نشرت في العدد 22 من جريدة البصائر يوم 9 فيفري 1948، ص1.

[4]– السعيد بوبقار: فلسطين في أدب الإبراهيمي: مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007–2008، ص 153.

[5]– السعيد بوبقار: المرجع نفسه، ص 153

[6]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص444.

ممهورة لا مقهورة، حيث تداولت كثير من الأمم عليها، واستعملت كل أمة وسيلة لاحتلالها، يقول الإبراهيمي عن فلسطين: أخذها البابليون غلابا، وأخذها الفرس اغتصابا وأخذها الرومان اقتصارا، وأخذها العرب اقتدارا؛ ولا يعد أخذ اليهود لها من كنعان في واحدة من هذه وإنما هي كتابة الله بشرطها، ومعجزة موسى في حدودها.. ولكن فلسطين في العصر الحديث تؤخذ في سوق الأغراض والمنافع الخسيسة بيعا ومساومة –حسب تعبيره–[1]. وهو يعني بذلك احتلال الإنجليز لفلسطين وصدور وعد بلفور بشأنها، تلته اتفاقية سايكس بيكو التي وضعت فلسطين تحت الانتداب تمهيدا لتسليمها لليهود .

وفي نطاق حديثه عن تقسيم فلسطين لاحظ الإبراهيمي أن الدويلات –على حد قوله– التي صوتت لصالح قرار التقسيم لم تخلق خلقا طبيعيا وإنما خلقتها المنافسات ولم يبلغ الكثير منها جزءًا مما بلغته فلسطين في مجد التاريخ وسابقة الحضارة، وفي نفع البشرية. بل لم تبلغ مجتمعة ما بلغته فلسطين من احتضان النبوات واستنباط الشرائع والعلوم والحكم. ثم يعود الإبراهيمي –كما حدث في مواضع سابقة– لإثبات أحقية العرب بفلسطين فيقول: إذا كان البعض يرى أن فلسطين ملك للأديان الثلاثة جميعا، فإن أحق الناس بها هم المسلمون لأنهم يؤمنون بالكتب الثلاث ويؤمنون بجميع الأنبياء والمرسلين ويسمحون بإقامة الشعائر لليهود والمسيحيين، عكس اليهود الذين كذَّبوا الأنبياء وقتلوهم، وصلبوا–بزعمهم– المسيح الصادق، وشردوا حواريه من فلسطين، وكفروا بمحمد بعدما جاءهم من البينات.[2]

ويختم الإبراهيمي كلامه بتنبيه المسلمين وتذكيرهم بأن فلسطين أمانة محمد صلى الله عليه وسلم وعمر رضى الله عنه، وعهد إسلامي في أعناق السلمين[3].

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص444–445.

[2]– نفسه، ص445.

[3]– نفسه ، ص445.

- **ماذا نريد وماذا يريدون لفلسطين؟**[1]

يوضح الإبراهيمي في هذا المقال منزلة فلسطين عند العرب فيقول: نريد لفلسطين أن تبقى عربية، وموطن الأنبياء، ومنبت الوحي، ويواصل القول: نريد أن تبقى عربية الأنساب، وأن تبقى للعرب الذين رفعوا كلمة الله فيها، لا لليهود عبدة الدينار والدرهم الذين لم يكتب التاريخ لهم مكرمة عليها من يوم قال لهم موسى ((يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ)) فارتدوا على أدبراهم إلى يومنا هذا[2].

أما اليهود فيريدون فلسطين وطنا قوميا لهم يحققون به أحلامهم ومطامعهم،[3] ووصف الإبراهيمي الهجرة اليهودية إلى فلسطين وصفا تاريخيا دقيقا لا نجده إلا عند صاحب الاختصاص.[4] فقال إنها ليست كلها يهودية، وإما هي خليط من الأجناس الأوربية، متباينة الخصائص الجنسية والنزعات الوراثية، جمعت بينها المطامح المادية أولا، والصهيونية ثانيا، واليهودية الزائفة ثالثا، فمنها السكسوني والجرماني، والسلافي، واللاتيني، جاءوا جميعها على صوت الصهيونية إلى فلسطين حاملين معهم خصائصهم العرقية ، ومعها الخصائص الأوربية من علم ، وفن، وإلحاد، واستعمار، وعتو.[5]

ويطفح الغضب بقلم الشيخ فلا يملكه، ويذره يتدفق على سجيته فإذا هو يسطر : «ما أشأم الصهيونية على فلسطين، وما أعق صهيون لفلسطين، وما أضل ضلال اليهود إذ يجرون وراء خيال الوطن القومي فيجرُّون البلاء لفلسطين، ويزهقون روح سام بمادة الغرب المسمومة. وسبحان من فاوت بين العنصرين في رقة الحس، ودقة الحدس والأصل واحد ».[6] فوصف الإبراهيمي في مقاله هذا الصهاينة على أنهم شؤم على فلسطين ، وضرب مثالا من التاريخ بين فيه الفرق بينهم

---

[1]– مقاله نشرت في العدد 23 من جريدة "البصائر" 16 فيفري 1948، ص1.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي: ماذا نريد وماذا يريدون لفلسطين، البصائر، العدد23، 16 فيفري 1948، ص1 .

[3]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص447.

[4]– أبو القاسم سعد الله : الثقافة التاريخية عند الشيخ الإبراهيمي، المرجع السابق.

[5]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص447.

[6]– عبد المالك مرتاض: محمد البشير الإبراهيمي (1889–1965)، دط، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، 1984، ص 123.

وبين العرب رغم أصلهم الواحد فيقول: «سبحان من خص العرب بالعامري واليهود بالسامري»[1]، وفي هذا تشبيه للعرب بالشاعر قيس بن المملوح في الرقة واللطف والإنسانية السامية، في حين شبه اليهود بالسامري في المكر والخيانة حيث أضل اليهود وخان أمانة موسى عليه السلام .

- **الإنجليز حلقة الشر المفرغة[2]:**

حمل الإبراهيمي في مقاله هذا الإنجليز مسؤولية ما يحدث في فلسطين فوصفهم بحلقة الشر المفرغة، فبدأ كلامه بقوله: « إن الإنجليز هم أول الشر ووسطه وآخره، وأنهم كالشياطين »[3] كما أكد دورهم البارز في خلق مأساة فلسطين بداية بالانتداب على فلسطين ومن ثم إصدار وعدهم المشؤوم الذي حقق حلم اليهود ، هذا الأخير لم يكن ليتحقق لولاهم.

ويستغرب الإبراهيمي كيف يلدغ المسلم–وهو الذي لا يلدغ من الجحر مرتين– مرات ومرات من الجحر الإنجليزي.. فلم يتعظ ولم يحتاط ولم يعتبر، فخدع الإنجليز خلفه كما خدع سلفه. ويقول الإبراهيمي في ذلك : « إنهم ينطوون لكم على العظائم ، وأن في جعبتهم ما في جعبة الحاوي من حيات، وأن في أيديهم عروق الجسم العربي يضغطون على أيها شاءوا متى شاءوا، وفي أيديهم قضية مصر يساومون بها ويماكسون، وفي أيديهم قضية السودان يلوِّحون بها ويعاكسون، وفي أيديهم قضية ليبيا يشاغبون بها ويشاكسون».[4]

- **قيمة عواطف المسلمين في نظر فرنسا:[5]**

حمل الإبراهيمي في مقاله هذا فرنسا جزءًا من مسؤولية الموافقة على قرار تقسيم فلسطين كأحد أعضاء هيئة الأمم المتحدة –على باطل– فيقول: أن موقفها من قضية فلسطين موقف سلبي ،

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص447.

[2]– مقالة نشرت في العدد24 من "جريدة البصائر" يوم 23 فيفري 1948، ص1.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي: الانكليز حلقة الشر المفرغة، البصائر، العدد 24،23 فيفري 1948، ص1.

[4]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص451.

[5]– مقالة نشرت في العدد 38 من جريدة "البصائر" 7 جوان 1948، ص1.

يظهر حقد العرق اللاتيني على العرب والسلمين، ولَيت فرنسا–يقول الإبراهيمي– فعلت ما فعته إنجلترا عندما اختارت أن تقف محايدة –تصنعا– بشأن قرار التقسيم .[1]

وقد وصف الإبراهيمي مدى تغلغل الصهيونية في فرنسا فقال: «...نحن لانجهل تغلغل الصهيونية في فرنسا، ولا نجهل تحكم اليهودية في مرافقها الحيوية، وفي جهازها الحكومي ، بل نعد فرنسا ومستعمراتها كلها مستعمرة واحدة يهودية، بل نستغرب مطالبة اليهود بوطن قومي، مع أن فرنسا كلها وطن قومي لهم، لم يفقدوا فيه إلاَّ الاسم وما أهونه..»[2]

وأثبت الإبراهيمي أن فرنسا فعلت ما فعلت –باعترافها بالكيان الصهيوني– خوفا من اليهود وتأثرا بنفوذهم، وليس مجاملة لهم؛ لأن العرب والمسلمين أحق بمجاملتها من اليهود، على اعتبار أن لفرنسا مصالح فيهم ، ففي المغرب العربي وحده –الذي تتحكم به فرنسا وتستأثر بخيراته– خمسة وعشرون مليونا من العرب المسلمين الذين أعطوا لفرنسا كل شيء ولم يأخذوا منها أي شيء. وفي المقابل نجد أن اليهود أخذوا منها كل شيء، ولم يعطوها أي شيئ[3].

- **لجنة " فرانس إسلام":**[4]

وجه الإبراهيمي مقاله هذا إلى فرنسا الاستعمارية، وإلى آلات الاستعمار من عقول وأفكار، ورجال وهيئات، وخص بالنقد المستشرقين الذي يفضحون نقاط ضعف الشرقيين لقومهم، فاعتبرهم أداة في يد الاستعمار.[5]

وضرب مثالا عن هؤلاء بالمستشرق الفرنسي الذي أسس لجنة سماها "لجنة فرانس– إسلام" وقد كان تأسيسها ذريعة لتدخل فرنسا في فلسطين، وقد بدأت اللجنة بالحديث عن مشردي فلسطين وتدويل مدينة القدس، وكذا وقف أبي مدين الجزائري ، فلم تسلم من مهاجمة الإبراهيمي لها على اساس تاريخي أيضا ؛ فاتهمها باختلاق الذرائع للتدخل في شؤون فلسطين، ونصح المستشرق

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: قيمة عواطف المسلمين في نظر فرنسا، البصائر، العدد 38، 7 جوان 1948، ص1.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص ص460–461.

[3]– نفسه، ص 461.

[4]– مقالة نشرت في العدد 118 من جريدة البصائر 10 أفريل 1950.

[5]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص355.

صاحب اللجنة وأمثاله، أن يشغل نفسه بأوقاف الجزائر التي استولت عليها فرنسا وليس بوقف أبي مدين الذي مضت عليه قرون في فلسطين[1]، فالأقربون أولى بالمعروف –على حد تعبيره – ، فلماذا جاوزت الجزائر إلى فلسطين؟ ! وفي الجزائر إسلام، وفي الجزائر أوقاف، وفي الجزائر مشردون، وتساءل الإبراهيمي: أين كان هذا المستشرق يوم شاركت دولته في جريمة فلسطين، وإخراج الإسلام منها، وبموافقتها على التقسيم، وبمساعدتها المفضوحة لليهود في الهجرة والتهريب؟! [2]

وخلاصة القول فإن الإبراهيمي قد كتب مقالات كثيرة – لا تخلو من إشارات تاريخية– تدعو إلى التحرر من العبودية الاستعمارية بشتى أشكالها وألوانها، ليحرر الأمة العربية من قيودها عن طريق الإيمان بالله ومن ثم اكتساب القوة التي تتماسك بها الأيدي وتتكاثف بها الأصوات فتعلو لها الآمال.

[1]– أبو القاسم سعد الله: الثقافة التاريخية عند الإبراهيمي، المرجع السابق.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص356.

الفصل الثالث: كتابات محمد البشير الإبراهيمي التاريخية حول الجزائر.

- أولا: تاريخ الجزائر قبل الاحتلال
  1- الفتح الإسلامي
  2- الدويلات الإسلامية
  3- الجزائر العثمانية
- ثانيا: تاريخ الجزائر المستعمرة
  1- الاحتلال الفرنسي وموقفه منه
    1-1. الاحتلال الفرنسي
    1-2. موقفه منه
  2- السياسة الاستعمارية
    2-1. التجنيس والإدماج
    2-2. محاربة العروبة والإسلام
  3- الحركة الوطنية
    3-1. المؤتمر الإسلامي 1936
    3-2. الأحزاب السياسية
  4- مجازر 8 ماي 1945
- ثالثا : تاريخ الثورة

انبرى قلم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي للدفاع عن ماضي الشعب الجزائري المجيد وإضاءة عمقه التاريخي والحضاري من خلال تعريفه بذاته، وتذكيره بسلفه وتراثه وثقافته الأصيلة متخذا من كتاباته أداة للمقاومة ضد المستعمر الأجنبي وسياسته الظالمة ضد أبناء الشعب الجزائري .

أولا: تاريخ الجزائر قبل الاحتلال :

ألقى الشيخ البشير الإبراهيمي محاضرات عن تاريخ الجزائر على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة، وقد فصله على مراحل وحلله بأسلوبه الأدبي الراقي الرصين، ثم أقدم على جمع تلك المحاضرات وتدوينها وتقديمها لمعهد البحوث لطبعها في كتاب وتوزيعها على الطلاب وغيرهم من المهتمين ، ولم يُعثر على هذه المحاضرات مطبوعة ولا مخطوطة ، وإنما نشرت في الجزء الخامس من آثاره، ولم يذكر أي مصدر أنها طبعت في كتاب. والإبراهيمي نفسه هو الذي تمنى في هذه المحاضرات أن يقيض الله للجزائر مؤرخا من أبنائها ليكتب تاريخها الحقيقي بمشاعر المواطن لا بمشاعر الغريب عن الوطن ولو كان متعاطفا مع أهله.[1]

بدأ الإبراهيمي محاضراته بالتعريف بكلمة "جزائر" –التي تطلق اليوم على العاصمة وعلى القطر ككل– مبينا الجذور التاريخية للكلمة التي أطلقت أول مرة مرتبطة بقبائل بني مزغنة البربرية، فيقال "جزائر بني مزغنة" ، ثم شاعت كلمة الجزائر مجردة على المدينة التي غطت الساحل و تموضعت بموضع مدينة قديمة اسمها" إيكوسيوم" ، ولم تتخذ الجزائر عاصمة لهذا القطر الواسع إلا في العهد التركي.[2]

وقد تناولت هذه المحاضرات خطوطا عريضة ومحطات بارزة في تاريخ الجزائر– دلت على الثقافة التاريخية للإبراهيمي– اختصرها الإبراهيمي في العناوين آتية الذكر:

1- الفتح الإسلامي:

تحدث الإبراهيمي عن الفتح الإسلامي للجزائر وكأنه صاحب اختصاص في تاريخ الفتوحات الإسلامية، فتكلم عن الفاتحين وعلى رأسهم عقبة بن نافع الفهري – الذي وصفه بالفاتح العظيم–

[1]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط خ ، دار البصائر، الجزائر، 2007، ج10، ص 578.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق ، ج5، ص 102.

الذي أسس القيروان وانطلق في فتوحاته نحو الغرب إلى أن بلغ طنجة، وشاءت الأقدار أن يموت شهيدا في معركة بينه وبين البربر المرتدين ، وكتب عن ذلك: «...فتعرضوا له في السفوح الصحراوية لهذا الجبل –أي الأوراس–، واستشهد هو وأصحابه ودفن في محل معروف باسمه إلى الآن ، وأراد الله لثرى الجزائر أن يضم رفات هذا الفاتح الكبير...»[1].

وجاء بعد عقبة–يضيف الإبراهيمي– نفر يعدّون من بناة التاريخ الإسلامي بالشمال الإفريقي أمثال زهير بن قيس البلوي، وحسان بن النعمان الغساني، الذي أقر الأمن ومكن للعدل والإسلام. ما أدى إلى إقبال البربر على هذا الدين الجديد، إقبال رغبة وليس رهبة.[2]

ويرى الإبراهيمي أن انحدار الإسلام إلى شمال إفريقيا عموما والجزائر خصوصا مع تاريخه مرة يضعف ومرات يقوى ، ولكنه كان محتفظ دائما بسلطانه على النفوس، ومن آثار الإسلام في الجزائر ازدهار العلوم والآداب وكثرة التآليف وظهور النوابغ وازدهار العمران ، وانتشار الأوقاف التي قضت على الجهل والفقر والمرض. والملفت للنظر أن الشيخ كتب عن هذه الإنجازات والآثار وكأنه أحد المؤرخين المعاصرين فيقول: «من اطلع على رواية المؤرخين وترجماتهم ورأى بقايا الوثائق الوقفية المسجونة في مكاتب الاستعمار بالجزائر، عجب لما فعل الإسلام في نفوس أسلافنا؛ ومن قرأ تاريخ المدن الجزائرية العلمية التي كانت لها في الحضارة أوفر نصيب: تلمسان وبجاية وتيهرت وقلعة بني حماد والمسيلة وطبنة وبسكرة، من قرأ هذه التواريخ علم أية سمة خالدة وسم بها الإسلام هذا القطر».[3]

2- <u>الدويلات الإسلامية:</u>

قدم الإبراهيمي في محاضراته التي ألقاها على طلبة "معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة" وصفا موجزا لتاريخ الدويلات التي تعاقبت على المغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي إلى غاية دخول الأتراك العثمانيين.

[1]– المصدر السابق، ج5، ص ص 103–104 .

[2]– نفسه ، ج5، ص 104.

[3]– نفسه ، ج5، ص ص 72–73.

فتكلم عن الدولة الرستمية التي كان تأسيسها عام 144 هجرية وسقوطها عام 296هـ، وذكر الإبراهيمي أنها أول دولة جزائرية قامت في صميم القطر الجزائري ، واختارت هذه الدولة تيهرت عاصمة لها ، أما نسبها فيرجع إلى عبد الرحمان بن رستم.[1]

كما تناول أيضا تاريخ الدولة الصنهاجية التي تأسست عام 324هـ وانقرضت عام 547 هـ على يد الموحدين، ويذكر الإبراهيمي أن مؤسسها كان زيري بن مناد الصنهاجي ، أحد فروع الأسرة الباديسية الصنهاجية التي استخلفت الفاطميون على مملكة القيروان حينما فتحوا مصر ونقلوا كرسي خلافتهم إليها . وقدم الإبراهيمي وصفا موجزا لتاريخ الدولة وحضارتها.[2]

وفي إطار حديثه عن الدويلات الإسلامية التي توالت على تاريخ الجزائر تطرق إلى الدولة الفاطمية وبين العلاقة بين هذه الدولة والجزائر بقوله: «إن الدعوة إليها –أي الدولة– بدأت في جبال كتامة ، بين قبائلها البربرية ، وأن داعيتها الأول أبا عبد الله الشيعي أقام في هذه الجبال عدة سنوات يدعوا إلى المذهب الاسماعيلي الباطني» وبالتالي فإن نشأة الدولة –يضيف الإبراهيمي– كانت في الجزائر ثم انتقلت إلى القيروان والمهدية.[3]

بعد الدولة الفاطمية عرج الإبراهيمي على تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، فقدم صفحات مشرقة من تاريخها ، فذكر : « هذه الدولة نشأت في صميم الجزائر ، من صميم أهل الجزائر، ومن أوسط قبائل زناتة نسبا وهم بنو عبد الواد.. وكان ابتداء هذه الدولة عام 633 هجرية وانقراضها عام 957هـ، باستيلاء الأتراك عليها» وأضاف الإبراهيمي وهو يمدح تلمسان قائلا : «...فإنها كانت لا تزيد إلا عمرانا وحضارة وإنجابا للأبطال وللعلماء الذين كانوا نجوم الدنيا، ولا توجد مدينة في المغارب الثلاثة ولدت من أئمة الدين والأدب والعلم بجميع أنواعه مثل ما ولدت تلمسان ».[4]

[1]– المصدر السابق ، ج5، ص 106–107.

[2]– نفسه، ج5، ص ص 108–109.

[3]– نفسه ، ج5، ص 109.

[4]– نفسه ، ج5، ص 110.

3- الجزائر العثمانية:

أورد الإبراهيمي في محاضراته وصفا موجزا لتاريخ التحرشات الإسبانية والبرتغالية على سواحل إفريقيا الشمالية ، وبين كيف قام القائد التركي البحري العظيم عروج وأخيه خير الدين بنصرة الإسلام وانهاء التواجد النصراني على سواحل المغرب العربي . ومن ثم ربط الجزائر بالخلافة العثمانية رسميا بداية من سنة 1518. كما قدم الإبراهيمي وصفا موجزا لتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني تضمن أسماء لأهم الحكام وإنجازاتهم، مع ذكر أدوار الحكم العثماني في الجزائر.[1]

ثانيا: تاريخ الجزائر المستعمرة:

1- الاحتلال الفرنسي وموقفه منه:

1-1. الاحتلال الفرنسي :

كتب الإبراهيمي عن تاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر ، فذكر أن هذا الاحتلال لم يكن وليد الصدفة، وإنما كان احتلالا مدبرا مبنيا على برنامج واسع يرمي إلى محو الإسلام والعروبة في الشمال الإفريقي كله[2]. وقد بدأ بتنفيذ مخططه بأول يوم وطأت أقدامه أرض الجزائر؛ فصادر الأوقاف الإسلامية وألحقها بأملاك الدولة المحتلة، ثم عمد إلى المساجد وأحال بعضها إلى كنائس، وبعضها مرافق دنيوية عامة ، وهدم بعضها لإنشاء الشوارع والميادين، وعمل على محو مقومات الشخصية الجزائرية ، بهدف جعل الجزائر فرنسية الهوى والعاطفة والفكر واللسان والاتجاه، وبالتالي تصبح امتداد لفرنسا.[3]

كما كتب الإبراهيمي عن تاريخ المقاومات الشعبية في الجزائر، فذكر أنها بدأت على يد الأمير عبد القادر، الذي أذاق فرنسا الوبال على مدى سبع عشرة سنة انتهت باستسلامه بسبب تظافر مجموعة من العوامل.[4] وقد برر الإبراهيمي للأمير عبد القادر هذا الاستسلام بحجج دلت على عمق ثقافته التاريخية وقراءته المنطقية للأحداث والوقائع ، فذكر أن الاستسلام كان متبعا من قبل

---

[1]- المصدر السابق، ج5، ص ص 111- 118.

[2]- نفسه ، ج5، ص73.

[3]- نفسه، ج5، ص 74.

[4]- نفسه ، ج5، ص 78.

في الحرب ولم يكن الأمير عبد القادر هو أول من ابتدعه، أما بالنسبة لأسباب الاستسلام فأرجعها الابراهيمي إلى اختلال صفوفه، وخذلان الكثير من المارقين له خذلانا تكون نتيجته اللازمة الاضطرار إلى قتالهم، وهو ما يضعه بين عدوين، ومضطر إلى الحرب في ميدانيين. أما بالنسبة لهجرته إلى المشرق فأرجعها الإبراهيمي إلى رغبة الأمير عبد القادر في الاتصال بالخلافة العثمانية بهدف إعادة الحرب مع الفرنسيين، وهذا ما يفسر تلكؤ فرنسا في السماح له بالسفر إلى اسطمبول[1] .

لكن المقاومة لم تتوقف –يضيف الإبراهيمي– وبقيت متأججة في الجبال في شكل تمردات شاملة وثورات متتالية آخرها ثورة الحاج أحمد المقراني سنة 1871 التي اندلعت أثناء اشتغال فرنسا بحربها السبعينية مع الألمان، وقد كتب الإبراهيمي في وصف هذه المرحلة من المقاومات: «وكانت ثورة المقراني بعد واحد و أربعين سنة من الاحتلال مرَّت كلها في المقاومات والثورات المسلحة، لم تسترح فيها فرنسا ، ولا اطمأن لها جنب، فمدة المقاومة المتصلة إذن هي أربعون سنة وهي أطول المقاومات أمدا في التاريخ ».[2]

1-2. موقفه منه :

شبه الإبراهيمي في مقال له بعنوان "من الحقائق العريانة"[3] الاستعمار الفرنسي في الجزائر بالأمراض الفتاكة التي تحمل الموت وأسباب الموت، ويضيف الإبراهيمي أن الاستعمار وضع خطة محكمة للقضاء على مقومات الشخصية الجزائرية التي كانت راسخة الأصول، نامية الفروع على مر قرون من الزمن، فتعهد في الظاهر باحترامها، والمحافظة عليها، وقطع قادته على أنفسهم وعلى دولتهم ليكونُنَّ الحامين للجزائريين وعقائدهم ومعابدهم؛ لكنهم سرعان ما نكثوا العهد وأسفروا عن نيتهم المبيتة لمحو الشخصية الجزائرية والقضاء على مقوماتها.[4]

ويرى الإبراهيمي أن الاستعمار اعتمد على مجموعة من الوسائل في تحقيق أهدافه في حرب الإسلام واللغة العربية والهوية الوطنية في الجزائر، وقد تحدث الإبراهيمي عن بعضها عندما حلل

[1]– المصدر السابق،ج5، ص 119.

[2]– نفسه، ج5، ص 76.

[3]– نشرت في العدد1 من جريدة "البصائر"، 25 جويلية سنة 1947، ص2. ينظر: البشير الإبراهيمي: الآثار، ج3، ص 46.

[4]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص ص 46-47 .

خطاب الحاكم الفرنسي الذي أثنى على أعمدة الاستعمار في الجزائر: الجندي، و المعلم، والطبيب، و الراهب . وشكر لهم جهودهم في تدعيم نفوذه واستقرار أقدامه في البلاد[1]. وعلق الإبراهيمي على ذلك بقوله: «معنى هذه الكلمات عندنا أن فرنسا قذفت هذا الوطن بأربعة أنواع من القوى، مختلفة التأثير، متحدة الأثر، متباعدة الميادين . ولكنها تلتقي على هدف واحد، وهو التمكين للاستعمار، وأنها حاربته بأربعة أصناف من الأسلحة البشرية. فالجندي يمثل القوة العسكرية التي ملكت الأرض واستعبدت الرقاب وأشاعت الرعب، والراهب يمثل الإرساليات التنصيرية التي أعقبت الحملة العسكرية، لتستغل الأوبئة والمجاعات في سبيل تحويل الجزائريين عن دينهم، والمعلم يمثل الغزو الفكري الذي تمارسه المدرسة الاستعمارية في محاربة اللغة العربية والهوية الوطنية ».[2]

وفي مقاله "فصل الدين عن الحكومة"[3] وصف الإبراهيمي طبيعة الاستعمار فقال: «الاستعمار كله رجس من عمل الشيطان؛ يلتقي القائمون به على سجايا خبيثة، ذو غرائز شرهة، ونظرات عميقة إلى وسائل الافتراس، وإخضاع الفرائس، وأهم تلك الوسائل قتل المعنويات و تخدير الاحساسات الروحية».[4]

وقد اعتبر الإبراهيمي أن الإسلام والاستعمار ضدان لا يلتقيان في مبدأ ولا في غاية. فالإسلام دين الحرية والتحرير، والاستعمار دين العبودية والاستعباد؛ والإسلام شرَّع الرحمة والرفقة، وأمر بالعدل والإحسان، والاستعمار قوامه على الشدة والقسوة والطغيان؛ الإسلام يدعو إلى السلام والاستقرار، والاستعمار يدعو إلى الحرب والتقتيل والتدمير والاضطراب؛ والإسلام يثبت الأديان السماوية ويحميها، والاستعمار يكفر بها ويعاديها، خصوصا الإسلام ونبيه وقرآنه ومعتنقيه.[5]

وأثناء مقابلة صحفية مع صحيفة باكستانية سنة 1952. وصف الإبراهيمي الاستعمار الفرنسي في الجزائر وفي شمال إفريقيا عامة بقوله:«هو أفظع أنواع الاستعمار التي عرفها البشر في

[1]– حفناوي بعلي: آفاق الثقافة و الفكر الإجتماعي السياسي في تصور محمد البشير الإبراهيمي، مجلة المصادر، عدد 24، 2011، ص ص 130–131.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص96.

[3]– نشرت في العدد 83 من جريدة "البصائر"، 13 جوان 1949، ص 1.

[4]– محمد البشير الإبراهيمي: فصل الدين عن الحكومة، جريدة البصائر، العدد 83، 1949، ص1.

[5]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج5، ص 68.

مراحل التاريخ، لأنه ظلم صريح الأثر وحشي الأسلوب حيواني النزعة متوقح الوجه...ينتهك حرمات الله وحرمات الإنسان على السواء، وهو يحمل للإسلام والعربية حقدا دفينا يستره بأقواله، فتكفر به الأفعال القبيحة والمعاملات الشنيعة وانتهاكه لحرمات المساجد وابتلاعه لأوقاف المسلمين...» .[1]

2- السياسة الاستعمارية :

جند الإبراهيمي قلمه للوقوف ضد السياسة الفرنسية الهادفة إلى محو الشخصية الجزائرية بكل انتماءاتها، فحارب البدع والخرافات ، وصحح العقائد، وشحذ العزائم، وأحيا اللغة العربية والتاريخ الإسلامي، وبث في النفوس إحساسا بالانتماء الحضاري والإسلامي.

2-1. التجنيس والإدماج :

من القضايا التي عالجها الإبراهيمي قضية التجنيس والإدماج في الجزائر، التي كانت بدايتها سنة 1865 بالصيغة التالية : «الأهلي المسلم فرنسي، لكنه يستمر خاضعا لأحكام الشريعة الإسلامية .. ويمكنه إن طلب ذلك أن يتمتع بحقوق المواطنة الفرنسية، وفي هذه الحالة سيخضع للقانون الفرنسي».[2]

لكن جمعية العلماء وعلى رأسها الإبراهيمي قاومت هذا الطرح التغريبي بشدة، يقول الإبراهيمي في ذلك : «حاربتْ سياسة الاندماج في جميع مظاهرها ، فقاومت التجنيس ، ونازلت أنصاره الحُمْس ودعاته المقاويل ، حتى قهرتهم وأخرستهم ، وقطعت الحبل في أيديهم، ثم أفتت فتواها الجريئة فيه، يوم كانت الجرأة في مثل هذه المسائل بابا من العذاب، فكان ذلك منها تحديا للاستعمار، وإبطالا لكيده، وتعطيلا لسحره، وأثبتت بتلك المواقف للجزائر إسلاميتها ».[3]

كما هاجم الإبراهيمي فكرة الإدماج مع فرنسا مؤكدا استقلال الشخصية الجزائرية عن الشخصية الفرنسية، ضاربا الأمثلة بصفحات من التاريخ، فقد ذكر أن الرومان سبق أن احتلوا الجزائر في

---

[1]- محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج4، ص104.

[2]- مصطفى عبيد : قانون الأحوال الشخصية والتجنيس الصادر عن مجلس الشيوخ الفرنسي في 14 جويلية 1865، ص 1. متاح على الرابط: https://www.academia.edu/19756725/

[3]- محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص 69.

تاريخها المبكر عدة قرون، وذهبوا وبقيت الأمة الجزائرية، وعندما أتت العروبة والإسلام إلى الجزائر لم يتردد الشعب الجزائري في اعتناقها كثوب ملائم لشخصيته، ثم جاء الأتراك وهم مسلمون ورحلوا أيضا، وحينما يسوق الإبراهيمي هذه الأمثلة، فهي بمثابة إنذار للاستعمار الفرنسي بالرحيل عاجلا أم آجلا، كما أنه يدحض أراء الاستعمار التي تنادي بالجزائر فرنسية، ويؤكد إصرار العلماء على تأكيد شخصية الجزائر العربية الاسلامية، وليست الجزائر فرنسية، ضاربا المثل بالاحتلال البريطاني للهند التي ورغم احتلالهم لها فإنهم لم يقولو أن الهند انجليزية.[1]

وقد سخر الإبراهيمي قلمه لإحياء مقومات الشخصية الجزائرية التي استهدفتها معاول الاستعمار، ذلك أن وجود الأمة يتوقف على تثبيت مقوماتها وتصحيح عقيدتها، كما يزول بانعدامها[2]. يقول الإبراهيمي في هذا الشأن: «.. لا توجد الأمة إلاّ بتثبيت مقوماتها من جنس ، ولغة، ودين، وتقاليد صحيحة، وعادات صالحة، وفضائل جنسية صحيحة ، وبتصحيح عقيدتها وإيمانها بالحياة، وبتربيتها على الاعتزاز بنفسها، والاعتزاز بقوتها المعنوية، والمغالاة بقيمتها وميراثها... حتى يكون لها عقيدة راسخة تناضل عنها ، وتستميت في سبيلها، وترى أن وجود تلك المقومات شرط لوجودها؛ فإذا انعدم الشرط انعدم المشروط».[3]

2-2. محاربة العروبة والإسلام :

كتب الإبراهيمي عن مشكلة العروبة في الجزائر، ورأى أن أساسها وسببها الاستعمار الفرنسي، فهو عدو سافر للعرب وعروبتهم ولغتهم ودينهم الإسلام. ووجود المشكلة –حسب الإبراهيمي– منوط بوجوده، فإذا زال زال العنصر الأكبر منها، والسبب الأعظم فيها، كما أكد الإبراهيمي النزعة الصليبية للاستعمار ، فيقول: « إن الاستعمار الفرنسي صليبي النزعة، فهو – منذ احتل الجزائر– عامل على محو الإسلام لأنه الدين السماوي الذي فيه من القوة ما يستطيع به أن يسود العالم، وعلى محو اللغة العربية لأنها لسان الإسلام، وعلى محو العروبة لأنها دعامة الإسلام، وقد استعمل جميع الوسائل المؤدية إلى ذلك ، ظاهرة وخفية، سريعة ومتأنية، و أوشك أن

[1]– نبيل أحمد بلاسي: المرجع السابق، ص 127.

[2]– عبد القادر معمر الدين: أشكال التعبير الأدبي في كتابات البشير الإبراهيمي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2010–2011، ص 50.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص 64.

يبلغ غايته بعد قرن من الزمن متصل الأيام والليالي في أعمال المحو، لولا أن عالجته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على رأس القرن بالمقاومة لأعماله، والعمل على تخييب آماله».[1]

و يصور الإبراهيمي تخصص فرنسا في تدمير الإسلام، ويبين أساليبها في القضاء عليه، معددا أفعالها الشنيعة في التعامل معه قائلا: «أما هي فتضايق الإسلام في الجزائر وتحتكر معابده و شعائره، وتمتهن رجاله، وتبتلع أوقافه، فلا مسجد إلا ما فتحته، ولا إمام إلاَّ من نصبته، ولا مفتي إلا من (حنفته) أو (ملكته)، ولا شيخ طريق إلا من (سلَّكته) ولا حاج إلاَّ من حجته أو نسَّكته، ولا صائم ولا مفطر إلا على يد (لجنتها)، ولا هلال إلا ما يشهد برؤيته (قاضيها)»[2]

لذلك نجد أن البشير الإبراهيمي ناضل بقلمه ضد السياسية الاستعمارية الهادفة إلى القضاء على الدين الإسلامي في الجزائر ، وكتب في قضية فصل الدين عن الدولة والحكومة الفرنسية عددا هاما من المقالات أحاط فيها بجميع جوانب الموضوع، وغطى فيها القضية تغطية تكاد تكون كاملة، بحيث لم يترك ثغرة ينفذ منها الاستعمار ، وقد عبر عن هذه الكمية الهائلة من الكتابات التي خص بها هذا الموضوع، فقال: « كتبنا في هذه القضية ما إن مداده ليكون غدران وما إن صحائفه لتغطي بضعة جدران»[3].

وقد قارن الإبراهيمي بين تعامل الفرنسيين والإنجليز مع الأديان، فوجد أن الإنجليز في الهند بالغوا في إعطاء الحرية للأديان حتى بلغو حد السخافة، في حين وجد أن فرنسا التي تدعي اللائكية وحرية الاديان –حسب ما جاء في دستورها– تضيق على الإسلام وتتمسك به وترفض أن تفصله عن الحكومة.[4]

وقد فضح الإبراهيمي من خلال سلسة مقالته التي تدور حول موضوع "فصل الدين عن الدولة" (ينظر للملحق رقم 3)الوجه الحقيقي للاستعمار ورفع الستار عن الدافع الأساسي الذي حذا بالدولة الفرنسية إلى احتلال الجزائر، وبين أن الروح الصليبية التي تخفيها الكنيسة الكاثوليكية هي

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: مشكلة العروبة في الجزائر، نقلا عن : عثمان شبوب، المرجع السابق، ص 419.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي ، الآثار، المصدر السابق، ج3، ص 103.

[3]– حفناوي بعلي : المرجع السابق، ص 131.

[4]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص 104.

التي دفعت القادة الفرنسيين لهدم المساجد والاستيلاء على الأوقاف وتدنيس المقدسات،[1] وقد صرَّح الإبراهيمي قائلا: «جاء الاستعمار الفرنسي الدنس للجزائر يحمل السيف والصليب ذلك للتمكن، وهذا للتمكين ، فملك الأرض واستعبد الرقاب، وفرض الجزى، وسخر العقول والأبدان؛ ولو وقف عند حدود الدنيويات لقلنا: تلك طبيعة الاستعمار الجائع... ولكنه كان استعمارا ماديا مسيحيا عاريا، وقف للإسلام بالمرصاد من أول يوم، وانتهك حرماته من أول يوم ، فابتز أمواله الموقوفة بالقهر، وتصرف في معابده بالتحويل والهدم ، وتدخل في شعائره بالتضييق والتشديد، كل ذلك بروح مسيحية رومانية تشع بالحقد وتفور بالانتقام »[2].

لقد سعى الإبراهيمي إلى تصوير حقيقة حرب الاستعمار على الإسلام من خلال ما دبجه في مقالاته حول قضية فصل الدين عن الدولة ، فصور أساليبه الهمجية التي تمكنه من ابقاء سلطته على الشؤن الإسلامية من خلال سياسة المكر التي تتبعها فرنسا لإحباط المطالبين بتحرير الشؤون الإسلامية ، يقول: مازالت هذه الحكومة تمزج الصلف بالتصلب.. في قضية حقنا فيها أوضح من الشمس وباطلها فيها أعرق من الإدبار من أمس.[3]

3- الحركة الوطنية :

لم يكن الإبراهيمي بمعزل عن الحركة الوطنية الجزائرية عبر تاريخها السياسي الطويل الممتد من عام 1830 وإلى غاية الخمسينات من القرن العشرين، فقد كانت كتاباته في مجملها مواكبة لمسار التحركات السياسية ومسايرة لها.[4]

---

[1]- حمودي السعيد: سمات الخطاب عند محمد البشير الإبراهيمي " قضية فصل الدين عن الدولة " أنموذجا، مجلة الحكمة، مجلد5، 2017، ص287.

[2]- محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص 80.

[3]- لبنى دلندة: : المرجع السابق، ص 168.

[4]- داني قادة: أثر الحركة الوطنية في المقالة الأدبية عند محمد البشير الإبراهيمي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، 2007-2008، ص 67.

3-1. المؤتمر الإسلامي 1936 :

انعقد المؤتمر بحضور جمعية العلماء وعدد كبير من النواب الجزائريين وممثلين عن الاشتراكيين والشيوعيين، وتجلت آثار هذا المؤتمر بأبعاده وتجلياته في بعض المقالات التي دبجها الشيخ الإبراهيمي في منتصف الثلاثينيات وعددها ست مقالات متسلسلة تتبع فيها المراحل التاريخية لهذا الحدث.[1]

وقد عبر الإبراهيمي في مقال له بجريدة البصائر عن موقفه من المؤتمر الإسلامي، حيث كتب الشيخ قائلا : « من الحقائق الثابتة أن اسم المؤتمر الإسلامي الجزائري أصبح عنوانا لاتحاد الأمة الجزائرية وقوتها، ورمزا لأمانيها القومية ومطالبها الحيوية ، وشغلا للألسنة التي تتحدث عنها قبولا ورفضا ، ومعجما جامعا للحقوق التي تصبوا إليها الأمة الجزائرية ... فكان أول خطوة خطتها الأمة الجزائرية في عهدها الجديد وأول صفحة خطَّتها من تاريخها المجيد، تمثلت فيه الأمة بجميع عناصرها راجعة إلى عنصر واحد هو عنصر الإسلام و الجزائرية. مدفوعة بدافع واحد هو دافع الشعور بالحرمان من الحياة والشعور بالحاجة إلى الحياة... كان ذلك الاجتماع مجلى لقوة الاتحاد والتضامن، وكان درسا بليغا في باب استحقاق هذه الأمة للحياة »[2].

وقد تحدث الإبراهيمي في مقاله الصادر في العدد 23 من جريدة البصائر والحامل لعنوان "المؤتمر الإسلامي الجزائري .. لا يبني مستقل الأمة إلا الأمة " عن جدول أعمال المؤتمر والمطالب التي خرج بها ، وقد كتب في هذا الصدد :«وخلاصة ما استقر عليه الرأي هذه الليلة أن المطالب الجزائرية تنقسم إلى قسمين ؛ قسم لا يختلف فيه نظر ولا يتشعب فيه رأي لأنه عبارة عن مظالم صريحة وأوضاع شاذة كانت تُعامل بها الجزائر بصورة استثنائية كحرية القول والكتابة

[1]– داي قادة، المرجع السابق ، ص 70.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي: المؤتمر الإسلامي الجزائري، جريدة "البصائر" ، العدد 67، 14 ماي 1937، ص1.

والاجتماع... وقسم يحتاج إلى تأمل ودقة نظر، وهي الحقوق السياسية، وأشد مسائل هذا القسم تعقيدا مسألة النيابة في البرلمان ».[1]

ومن المتعارف عليه أن جمعية العلماء المسلمين كانت صاحبة الدعوة لعقد المؤتمر وكانت من أبرز المشاركين فيه ، وقد وثق الإبراهيمي هذه المشاركة بقوله: « إن جمعية العلماء لم تشارك في المؤتمر المذكور ولم توافق على مطالبه إلا من أجل المحافظة على الشخصية الإسلامية للشعب الجزائري ، وأن تدمج مطالبها في حرية الدين الإسلامي والتعليم العربي ، وترسّم اللغة العربية في مراحل التعليم المختلفة »[2].

ولم يكتف الإبراهيمي في مقالاته برصد أهم المراحل التاريخية التي اجتازها المؤتمر الإسلامي الجزائري ، بل وإنه استلهم منه بعض المفاهيم الجديدة التي اصطبغت بها مقالاته في الثلاثينات من القرن الماضي. وكان من أهمها مطلب الاتحاد السياسي ، ومطلب مناصرة الفكر الإصلاحي وجمعية العلماء. على الرغم من أن المطلب الثاني تجلى في مقالات الشيخ قبل انعقاد المؤتمر إلا أن مشاركة الجمعية في المؤتمر أضفى على مقالاته صبغة جديدة كانت هي الشرارة الأولى لروح المقاومة التي اتبعت لاحقا في كتاباته .[3]

3-2. الأحزاب السياسية :

يرى الإبراهيمي أن بعض الأحزاب السياسية التي كانت تنشط في ظل السلطة الاستعمارية لا تخدم مصلحة الوطن بقدر ما تنجلي عليه، وقد عبر عن أصحابها بقوله: « كلهم يتسابقون إلى غاية واحدة، هي كراسي النيابات وما يتبعها من الألقاب و الرتبات؛ وإذا كل شيء مبدأه السياسة فنهايته التجارة؛ والأعمال بخواتمها»[4].

---

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: المؤتمر الإسلامي الجزائري–لا يبني مستقبل الأمة إلا الأمة–، جريدة "البصائر"، العدد 23، 12 جوان 1936 ص2.

[2]– سومية بوسعيد: القضايا الوطنية من خلال صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين –البصائر أنموذجا–، مذكرة دكتوراه، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2014–2015، ص ص 403–404.

[3]– داني قادة : المرجع السابق، ص ص 78–79.

[4]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص ص 60–61 .

كما واصل الإبراهيمي انتقاده للأحزاب الوطنية مقارنا إياها بالأحزاب الأوربية مبينا أوجه الاختلاف بينها فيقول: « إن من الغفلة والبله أن نقيس أحزابنا بالأحزاب الأوربية؛ فإن تلك الأحزاب ظهرت في أمم استكملت تربيتها وصححت مقوماتها، بدعوة دعاة جمعوا الكلمة، وعلماء أحيوا اللغة، ومعلمين راضوا الأجيال على ذلك، وأين نحن وأحزابنا من ذلك ؟».[1]

وقد وجه الإبراهيمي نقدا لاذعا لرجالات الحركة الوطنية متهما إياهم باحتقارهم للسواد الأعظم للأمة حيث كتب في مقال له بعنوان "جمعية العلماء ومواقفها" : «لا تعبأون بدينها–أي الأمة– ولا بلغتها ولا تَظهرون بالمظاهر التي تقربكم منها، ولا تنيرون لها السبيل ببرامج واضحة، ولا تشركونها في رأي ولا مشورة، ولا تتصلون بها إلا حين ينعق غراب الإنتخاب...وإن منكم من يحتقر لغة الأمة فلا يقيم لها وزنا، وفيكم من يحتقر دينها فلا يقرأ له حسابا.. هذا كله من آثار الاستعمار في نفوسكم، شعرتم أم لم تشعروا؟ »[2] .

وعلق الإبراهيمي على السياسيين الذين كانوا يقدمون مبدأ الاستقلال على العلم فيقول «إنها – والله– يقيم بها مرتكبوها الدليل على أنهم أعداء للعلم، وقطاع لطريقه، أم يقولون: "لا علم بدون استقلال" فيعاكسون سنة الله التي تقول: لا استقلال بدون علم، أن يقولون ما قاله كبير منهم : "أن محمدا لم يأت بالعلم وإنما أتى بالسياسة"، وأن روسيا لم تفلح بالعلم وإنما فلحت بالسياسة».[3]

وقد دعا الإبراهيمي من خلال مقالاته بالبصائر الأحزاب السياسية الجزائرية إلى وحدة الصف قائلا: «إن قوتكم في الاتحاد فاتحدوا، إن الأمة من ورائكم ، وهي مختلفة باختلافكم، فإذا اتحدتم اتحدت، وإنها متألمة من اختلافكم في مثل هذا الوقت... وإن هذا التألم قد يفضي بها إلى اليأس وانعدام الثقة بكم ».[4]

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص 66.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار ، ج3، ص ص 66– 67.

[3]– نفسه، ج3، ص 68.

[4]– تبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص 127.

كما حمل السياسة الجزائرية مسؤولية مستقبل الأمة التي تستمد منها هذه الأحزاب القوة، مخاطبا الأمة بإجبار هذه الأحزاب على التحدث باسمها، وإلا خسرت الجزائر قضيتها القومية ، لأن بعض هذه الأحزاب يفهم الاتحاد من زاويته الخاصة، وبعضها يفسره على أنه أفكار الاندماج مع فرنسا.[1]

4- مجازر 8 ماي 1945:

وقعت مجازر الثامن ماي 1945 في سطيف وقالمة وخراطة، وبينت مدى فظاعة الأعمال الوحشية التي ارتكبها المستعمر في حق الشعب الجزائري الذي كان قد خرج في هذا اليوم في مظاهرات حاشدة تعبيرا عن فرحته بمناسبة انتصار الحلفاء على النازية وعقد الهدنة مع الألمان يوم 7 ماي 1945.

كان من الطبيعي أن تنعكس آثار هذه المذابح في مقالات الشيخ الإبراهيمي، ولم يتضح ذلك إلاَّ في عام 1948 حيث كتب مقالة "ذكرى 8 ماي" (ينظر للملحق رقم 05) –أي بعد ثلاث سنوات – ، ثم تجلت كتاباته حول الحادثة في ثلاث مقالات "ويح المستضعفين"، "حدثونا عن العدل"، "ويحهم أهي حملة حربية؟" ، ربط فيها هذه المجازر بكل الوقائع التي سبقتها والأحداث التي تلتها ، في محاولة منه لربط الحاضر بالماضي، وبيان وحشية المحتل[2].

ويعد الإبراهيمي أول جزائري بادر إلى الكتابة عن هذه المأساة حسب ما كشف عنه الدكتور عبد المالك مرتاض بقوله: لقد تفرَّد محمد البشير الإبراهيمي بكتابة مقالة واحدة ، ولكنها رائدة وغير مسبوقة، بالإضافة إلى أنها مصورة ومعبرة لهذه المناسبة الوطنية... والحق أن الإبراهيمي هو الذي كان مبادرا إلى الكتابة عن هذه المناسبة عام 1948.[3]

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص 302.

[2]– داني قادة: المرجع السابق، ص 123.

[3]– عبد القادر معمر الدين: المرجع السابق، ص 40.

أدان الإبراهيمي من خلال كتابته الوحشية التي عاملت بها السلطات الفرنسية الشعب الجزائري الأعزل، فقد كتب عن الحادثة :« لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من نور.. ثم كتب في آخره هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح اسطيف وقالمة وخراطة لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله ».[1]

وقد افتتح الإبراهيمي مقالته "8 ماي 1945" بعبارات وصفية صور فيها هذا اليوم المشؤوم فكتب: « يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرز الحواشي بالدماء المطلولة، مقشعرّ الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بأرواح الشهداء، خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة ولا نور، وغبنت حقيقته عند الأقلام فلا تصوير ولا تدوين»[2].

وبعد هذا التمهيد الأسطوري استأنف الإبراهيمي حديثه موجها خطابه إلى فرنسا التي تشابهت أيامها في الجزائر بالظلم والقهر وسفك الدماء منذ أن وطأت أقدامها هذه الأرض ، لذلك فإنه لا يستغرب ما وقع بالأمس أو اليوم مادام المحتل نفسه[3]، يقول : « يوم ليس بالغريب على (رزنامة) الاستعمار الفرنسي بهذا الوطن، فكم له من أيام مثله، لكن الغريب فيه أن يُجعل –عن قصد– ختاما لكتاب الحرب، ممن أنهكتهم الحرب على من قاسمهم لأواءها، وأعانهم على إحراز النصر فيها، ولو كان هذا اليوم في أوائل الحرب لوجد من يقول: إنه تجربة، كما يجرب الجبان القوي سيفه في الضعيف الأعزل ».[4]

وقد حاول الإبراهيمي تصوير موبقات فرنسا في الجزائر من خلال حوادث العشرة أيام من شهر ماي من سنة خمس وأربعين وتسعمائة، على نحو ما وقعت، ويقر بأن ذلك وحده كاف لتلطيخ تاريخ فرنسا بالسواد والخزي والعار؛ كما يقرُّ: لو أن فرعون شاهد ما اقترفه هذا الاستعمار المتغطرس في الجزائر لافتخر بأنه كان أعدل الطغاة ، وأكرم البغاة، وأرق الجبابرة ، ولربما كان عد نفسه ناسكا من النساك .[5]

[1]– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ط4 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج3، ص 255.

[2]– البشير الإبراهيمي: ذكرى 8 ماي، جريدة البصائر، العدد35، 10 ماي 1948، ص1 .

[3]– عبد القادر معمر الدين، المرجع السابق، 41.

[4]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص 333.

[5]– عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 113.

وساق الإبراهيمي مثالا من التاريخ ليثبت مدى وحشية الاستعمار، حيث قارن بين المحتل الفرنسي وبين النعمان بن المنذر الذي كان يغضب يوما ويبتهج يوما. ولكن المستعمر غضبه دائم لا يفتر. يقول الإبراهيمي في ذلك: «أين النعمان بن المنذر ويوماه من الاستعمار وأيامه؟ كان للمنذر يومان: يوم بؤس ويوم نُعمى، وبينهما مجال واسع للبخت ، وملعب فسيح للحظ، فإذ طار طائر النحس في أحد يوميه وقع على حائن أتت به رجلاه، أو محدود لم يلتق مع السعد في طريق، أما الاستعمار فأيامه كلها نحسات ، بل دهره كله يوم نحس مستمر ، محيت الفواصل بين أيامه ولياليه، فكلها سود حوالك».[1]

ثم توجه الإبراهيمي إلى الاستعمار بالعتاب والفضح جراء ما قابل به الشعب الجزائري من بطش وتقتيل متناسيا وقوف هذا الشعب إلى جانب فرنسا في حربها ضد الألمان. حيث ثار في وجه الاستعمار قائلا: «لك الويل أيها الاستعمار ! أهذا جزاء من استنجدته في ساعة العسرة فأنجدك، واستصرخته حين أيقنت بالعدم فأوجدك؟ أهذا جزاء من كان يسهر وأبناؤك نيام، ويجوع أهله وأهلك بطان، ويثبت في العواصف التي تطير فيها نفوس أبنائك شعاعا؟ أيشرفك أن ينقلب الجزائري من ميدان الشرف إلى أهله بعد أن شاركك في النصر لا في الغنيمة ولعل فرحه بانتصارك مساوٍ لفرحه بالسلامة، فيجد الأب قتيلا والأم مجنونة من الفزع، والدار مهدومة أو محروقة، والغلة متلفة، والعرض منتهكا ، والمال نهبا مقسما، والصغار هائمين في العراء؟».[2]

وختم الإبراهيمي مقاله بِحث الجزائريين على التذكر وعدم النسيان، تخليدا لهذا اليوم في نفوس الجزائريين وفي التاريخ ، وذلك في قوله: «يا يوم !... لك في نفوسنا السنة التي لا تمحى، والذكرى التي لا تنسى، فكن من أية سنة شئت، فأنت يوم 8 ماي وكفى. وكل مالك علينا من دَين أن نحيي ذكراك ، وكل ما علينا لك من واجب أن ندوّن تاريخك في الطروس لئلا يمسحه النسيان من النفوس».[3]

وكتب الإبراهيمي قصيدة بعنوان ذكرى 8 ماي جاء في مطلعها :

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج3، ص 334.

[2]– نفسه ،ج3، ص 335.

[3]– نفسه ،ج3، ص 335.

ذكـــراك يا يـوم تحز في الأحشـــا

إذا أقبـــل القـوم وحش تلا وحشـــا

يا يـوم لم تشـــرق شمس على مثـلك

أل الضحى مُغرق و الملتجى مهـلك

ذكراك يا يـــــوم لا تأتي حومـــــا

تعتاد في الـــنوم فتطرد النومـــــا

ريع الحمى فـيكا والأهـل في غفلة

لم يعف عافيـــكا طفلا ولا طفلـــــة

فيك اعترت لمه رهطا من الشمـس

فقتـــلوا أمـــــة أحيتـــــهم أمس

ساقت لهم نصرا جازَوه بالكـــــسر

كمن فدى الأسرى فبـــات في الأسر[1]

ثالثا : تاريخ الثورة :

لقد كانت الطلقات الأولى التي بشرت باندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر مفاجأة كبرى بالنسبة لكافة التشكيلات السياسية والشخصيات المعروفة في البلد، فقد حرص المعدُّون للثورة على التحلي بالسرية التامة طوال فترة التحضير لها، والبشير الإبراهيمي كان من بين الشخصيات الوطنية التي وجدت نفسها صبيحة يوم الاثنين الفاتح نوفمبر 1954 وجها لوجه مع تلك الأحداث.[2]

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: ذكرى 8 ماي، جريدة البصائر، عدد 119، 15 ماي 1950، ص 1.

[2]– بوسعيد سومية: المرجع السابق، ص 473.

و كانت مرحلة الثورة مرحلة مميزة في فكر الشيخ الإبراهيمي إذ كانت القضية الوطنية الجزائرية محور فكره، فلا تكود له كتابات في هذه الفترة (1954-1962) إلا عن الثورة وفلسفتها والدعوة إليها وبيان سبل إنجاحها.[1]

ومن المعروف أن الشيخ الإبراهيمي كان بعيدا عن معركة السلاح لكنه كان في معامع المعركة بفكره وقلمه، فكان أحد الذين تحدثوا باسم الثورة وأيدوها ودافعوا عنها ونادوا إلى نصرتها في الداخل والخارج، وحثوا على الحفاظ على منجزاتها إيمانا منه أنها الوسيلة التي يفهمها الاستعمار، وهذا ما يدل على إيمانه بضرورة الثورة ، لذلك وجَّه جهوده لتوعية الجزائريين بضرورة الثورة قبل الشروع فيها، فكان قلما ثوريا لامعا، احتضن الثورة حينما اندلعت، وحث الشعب على الالتفاف حولها والحفاظ عليها منذ اليوم الأول من أيامها،[2] حيث أصدر الشيخ يوم 02 نوفمبر 1954 بيانا باسم جمعية العلماء بالقاهرة يعلن فيه غبطته بإعلان الجهاد في الجزائر ويفصح عن شعور المغتربين من أبناء الجزائر لمَّا علموا باندلاع الثورة في وطنهم، وكيف أنهم يحسون إحساسا يجعلهم وهم بالقاهرة كأنهم من مواقع النار من خنشلة وباتنة[3]. لذلك يعتبر محمد الهادي الحسني أن الشيخ محمد بشير الإبراهيمي هو أول من أيد الثورة من الشخصيات والزعماء.[4]

وفي مقال بعنوان "مبادئ الثورة في الجزائر "[5] تكلم الإبراهيمي عن العمليات الأولى لثورة الفاتح من نوفمبر ورد فعل الصحافة العالمية على ذلك فقال: «أذاعت عدة محطات عالمية في الليلة البارحة أن لهيب الثورة اندلع في عدة جهات من القطر الجزائري.. ثم قرأنا في جرائد اليوم بعض تفصيل لما أجملته الإذاعات، فخفقت القلوب... واهتزت النفوس طربا لهذه البداية التي سيكون لها ما بعدها»[6].

---

[1]- مرزوق العمري: الوطنية في فكر الشيخ البشير الإبراهيمي، مجلة المعيار، العدد 6، 2003، ص 183.

[2]- المرجع السابق، ص 184.

[3]- محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج5، ص 37.

[4]- محمد بن ساعو: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية 1954-1962. دار الأمة ، 2016، ص82.

[5]- مقال صادر عن مكتب جمعية العلماء بالقاهرة يوم 2 نوفمبر 1954، ونشر في كتاب الجزائر الثائرة للفضيل الورثلاني، ينظر : الآثار، ج5 ، 37.

[6]- محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج5، ص 37.

وقد اعتبر الإبراهيمي أن هذه الثورة جاءت نتيجة تحرك النخوة الوطنية في الجزائريين الذين طالما كانوا لفرنسا أشواكا وأوجاعا وآلاما، فعبر عن ذلك بقوله: «إن فرنسا ابتلعت أجزاء الوطن والواحد على ثلاث لقم، فكنا في أحشائها أشواكا تحزّ وأوجاعا تؤلم، فإذا هدأ الوخز والإيلام فإنما هي هدأة عارضة ثم تعود وستلفظنا مكرهة عند الحشرجة الأخيرة من حياتها، وسنكون سبب موتها».[1]

وبقي الشيخ مهتما بالثورة متتبعا لتطوراتها فنجده يصدر بيانا آخر يوم 11نوفمبر 1954بعنوان "أوسع المعلومات عن بداية الثورة في الجزائر" ينوه فيه بالثورة ويعتبرها المسلك الوحيد لتحرير الوطن، ويعلن عن رغبته في معاينة ما يحدث في الجزائر بعد 10 أيام من عمر الثورة: «ومضى على الثورة عشرة أيام، ونحن نحترق شوقا إلى الاطلاع على حقيقة ما يجري هناك، وكيف ابتدأت الثورة؟ وماهي العناصر التي قامت عليها ؟ وبأية صبغة تصطبغ؟ وإلى أي جهة تتجه؟ وهل انتشرت في جميع البلاد؟ حتى نبني على مقدماتها الصحيحة، نتائج صحيحة. ونستطيع أن نتحدث عليها بالصدق، ونصورها بصورتها الحقيقة من غير مبالغة ولا تقصير »[2].

وبالتالي كان الهدف من هذا البيان هو التعريف بالثورة وإبطال مزاعم الاستعمار الذي كان يراها أحداث شغب لا ثورة شعب. فكان الشيخ الإبراهيمي ببيانه هذا مبلغا الرأي العام العالمي بأن ثورة الجزائر قد اندلعت، وقد وزع البيان على وسائل الإعلام المصرية ووكالات الأنباء، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الثورة كانت الإنشغال الفكري لدى الشيخ الإبراهيمي[3] .

وصرح الإبراهيمي أن هذه الثورة شعبية، منظمة وأنها جاءت في وقتها، فيقول: «...نترقبها لأنها الأمل الوحيد في تحريرنا من التعسف الفرنسي.. ونتوقعها لأن هذا هو وقتها، ولأن فرنسا لا تفهم إلا هذه اللغة، و لا يفتح آذانها إلا هذا الصوت...»[4]

وفي يوم 15 نوفمبر 1954 أصدر البشير الإبراهيمي نداء إلى الشعب الجزائري نشره الفضيل الورثلاني[1] في كتابه "الجزائر الثائرة" مما جاء فيه : «أيها الإخوة الجزائريون الأبطال لم تُبق لكم

[1]– نفسه، ج5، ص 39.

[2]– الفضيل الورثلاني: الجزائر الثائرة، ط4، دار الهدى، عين مليلة، 2009، ص 178.

[3]– مرزوق العمري: المرجع السابق، ص ص 184-185.

[4]– محمد بن ساعو : المرجع السابق، ص83 .

فرنسا شيئا تخافون عليه، أو تدارونها لأجله، ولم تبق لكم خيطا من الأمل تتعلقون به، أتخافون على أعراضكم وقد انتهكتها؟ .. أم تخافون عن الحرمة وقد استباحتها...أم تخافون على الدين؟ و يا ويلكم من الدين الذي لم تجاهدوا في سبيله، و يا ويل فرنسا من الإسلام، ابتلعت أوقافه وهدمت مساجده، وأذلت رجاله، واستعبدت أهله، ومحت آثاره من الأرض، وهي تجهد في محو آثاره من النفوس »[2].

وبالتالي فقد نوّه الإبراهيمي من خلال هذا البيان بضرورة التفاف الشعب حول الثورة والاستمرار فيها حتى النصر، لأنهم وصلوا إلى وضع لم تبق لهم فيه فرنسا لا دين ولا حرمة ولا لغة ولا تقاليد.

وقد حيا الإبراهيمي الشعب الجزائري وضم صوته إلى أصواتهم، وذكرهم بشهادة التاريخ بمقاومتهم وخيانة فرنسا لعهودها كما وقع في أحداث ماي 1945، وفشلهم في استرجاع بعض حقوقهم، كما أنها لم تبق لهم شيئا يخافون عليه، فاختار لهم الإبراهيمي ميتة الشرف على حياة العبودية، حيث قال: «فسيروا على بركة الله وبعونه وتوفيقه إلى ميدان الجهاد المقدس، فهو السبيل الواحد إلى إحدى الحسنيين : أما موت وراءه الجنة، وأما حياة وراءها العزة والكرامة »[3].

يقول أبو القاسم سعد الله في رأي الشيخ البشير الإبراهيمي أنه كان عبارة عن فتوى تقول للشعب الجزائري أن الجهاد قد حق عليك وأن السلطات الفرنسية في الجزائر إنما هي سلطات كافرة يجب مكافحتها شرعا .[4]

كما سخَّر الإبراهيمي قلمه للتعريف بالثورة الجزائرية ففي سنة 1957 ألقى محاضرة في مركز الشبان المسلمين القاهرة عرّف فيها بالثورة و بالجزائريين الذين يخوضون الثورة ضد فرنسا

---

[1]– ولد الفضيل الورثيلاني في 6 فيفري 1900 ببني ورثيلان بسطيف، تأثر بالحركة الإصلاحية التي يقودها ابن باديس فانظم إلى سلك التعليم بها، ثم كلف بالسفر إلى فرنسا لتوسيع قاعدة الجمعية هناك، ثم قرر الالتحاق بالأزهر لاستكمال دراسته وحصل منه على شهادة العالمية في الشريعة الإسلامية، وبعد اندلاع الثورة التحريرية كانت له مساهمات فعالة في خدمتها من خلال نشاطاته بالخارج، حيث عمل على حشد الدعم المادي والمعنوي لها. ينظر : محمد بن ساعو: المرجع السابق، ص81.

[2]– الفضيل الورثلاني: المصدر السابق ، ، ص ص 175–176.

[3]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، د ط، الشركة الوطنية للنشر التوزيع ، الجزائر، 1982، ص ص 26 – 30.

[4]– أبو القاسم سعد الله: الشيخ الإبراهيمي والثورة لتحرير الجزائر، موقع إبن باديس، تاريخ الإضافة 27 ذو الحجة 1434، تاريخ الاطلاع 02 جوان 2019 الساعة 16:56، موجود على الرابط :https://binbadis.net/archives/776 .

الاستعمارية، وصرح بأنهم أقاموا الشواهد الحية على بطولاتهم واستماتتهم في الذياد عن حرية وطنهم، وأن هؤلاء فروع لتلك الأصول التي شيدت حضارة بتيهرت وبجاية وتلمسان[1].

ولأن فرنسا لم تكن تقاتل وحدها بل كان لها حلفاء أيدوها في استعمارها للجزائر وأعانوها على ذلك بالرأي والمال والسلاح. فقد وقف الشيخ الإبراهيمي عند تلك القوة التي كانت فرنسا تجابه بها الثورة الجزائرية،[2] فكتب في هذا موضوعا بعنوان " جهاد الجزائر وطغيان فرنسا" ونوه فيه بشجاعة المجاهدين في الجزائر وقدرتهم على مجابهة الجيش الفرنسي والمدعم من طرف حلف شمال الأطلسي، حيث يقول : «أعربت الجزائر عن نفسها بذلك كله، وأثبت التاريخ بشواهد حية أنها لا تحارب فرنسا وحدها، وإنما تحارب كل من يُمدها بتأييد في الرأي والسياسة ويعينها بالمال والسلاح، وكفى الجزائر شرفا أنها –مع ضعفها– تحارب هؤلاء الأعداء الأقوياء المتظاهرين فتنتصر عليهم أجمعين، وكفى أمريكا وإنجلترا خزيا وعارا وبعدا عن الإنسانية أنهما تعينان القوي على الضعيف».[3]

وفي إطار خدمة الثورة الجزائرية والتعريف بها كان الإبراهيمي يحرص على إحياء ذكرى اندلاعها مثلما فعل في 1 نوفمبر 1955 الذي أحيا فيه الذكرى الأولى لاندلاع الثورة عن طريق مقالة نشرت في مجلة "العرفان"[4] ، وفي 1 نوفمبر 1957 أحيا الذكرى الثالثة وألقى بالمناسبة كلمة في إذاعة القاهرة ، وفي 1 نوفمبر 1958 أحيا الذكرى الرابعة لاندلاعها وقد ألقى بالمناسبة كلمة عرَّف فيها بالثورة وأشاد بها وبالمجاهدين وحث أهل المشرق على دعم الجزائريين والوقوف معهم في ثورتهم[5].

وفي مجال اعتناء الإبراهيمي بالثورة وتطوراتها نجده يرسم خطة لإنجاحها أوردها في مقال له بعنوان "كيف تنجح الثورة في الجزائر"، حيث رأى الإبراهيمي أن شروط نجاحها في ثلاثة:

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج5، ص 186.

[2]– مرزوق العمري: المرجع السابق، ص 186.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج5، ص 216.

[4]– ينظر : الآثار، ج5، ص 171.

[5]– محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ج5، ص ص 230–235 .

الإطالة، التعميم و السلاح . لأن هذه العناصر الثلاث هي سر نجاح كل الثورات التي وقعت في العصور القريبة على الاستعمار. كثورة ليبيا وثورة الهند الصينية.[1]

ويذكر أبو القاسم سعد الله أن بعض كتابات الإبراهيمي في هذه المرحلة كانت تكرارا لما كتبه في السابق، سيما فيما يتعلق بفرنسا واستعمارها للجزائر ومعاملاتها السيئة للأهالي وحرمانهم من الحق في الحياة والحرية[2].

كانت كتابات الإبراهيمي التاريخية في مجملها مواكبة للأحداث التي شهدتها الجزائر عبر تاريخها الطويل، بداية من الاحتلال الروماني ثم الفتح الإسلامي وتعاقب الدويلات الإسلامية ، ومن ثم الإحتلال، وصولا إلى الثورة المجيدة ، التي كان موقفه صريحا منها حيث دعمها وخدمها بقلمه ولسانه .

[1]– نفسه،ج5، ص 64 .

[2]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج10، ص 442.

خاتمة

خاتمة:

وفي ختام دراستنا هذه توصلنا إلى مجموعة من النتائج، أبرزها:

- لم يقتصر تفوق الإبراهيمي–رحمه الله– في اللغة العربية وآدابها، بل تعداه إلى مجالات أخرى مثل الفقه، حيث أظهر إلمام كبير بالتراث الفقهي الإسلامي، كما أظهر مستوى رفيع في المجال الفكري ومعالجة القضايا السياسية والاجتماعية و الاقتصادية، فشكلت آراءه ومقترحاته إضافة نوعية.
- من خلال ما اطلعنا عليه من آثار البشير الإبراهيمي وجدنا أن كتاباته لم تقتصر على الجانب الديني والإصلاحي فقط، وإنما كان له رأي أيضا في كتابة التاريخ، لم يأت ربما على قلم أو لسان جيله من الأدباء والمصلحين.
- طاف الشيخ البشير الإبراهيمي في كتاباته، وخطاباته، ومحاضراته في مواضيع شتى تناولت السياسة والتربية والأخلاق والتاريخ... ولم يخل موضع منها إلا وفيه اشارات إلى الماضي القريب والبعيد، يستمد منه الخبرة ويستخلص منه العظة، ويتخذ منه مدادا لثورته على المستعمر.
- طالما أحال الإبراهيمي قارئه على أحداث تاريخية في العالم الإسلامي كالفتوحات الإسلامية و الحروب الصليبية وغارات الدول الأجنبية، مستنتجا منها استنتاجات شجاعة مما يجعله في مقدمة المثقفين ثقافة تاريخية إسلامية عنيفة قل من يشاركه فيها من أبناء جيله. فكان يستحضر الشواهد من عصر صدر الإسلام والدولة الأموية والعباسية، و الهدف من ذلك تذكير المسلمين بماضيهم الزاهر و إحياء ضمائرهم لخدمة مستقبلهم.
- أظهر الإبراهيمي تفوقا كبيرا فيما يتعلق بالثقافة الدينية والتاريخية، حيث كان يلجأ باستمرار إلى توظيفها، خاصة في مقارنته بين حال العرب والمسلمين المتأخرين ونظرائهم الأوائل، حتى في أدق التفاصيل.. و رأى أن الخروج من حالة الانحطاط التي يعيشها العرب في الوقت الحالي، لا يكون إلا باستلهام عوامل القوة و التفوق التي توفرت في مرحلة الريادة.

- بقدر ما اشتغل قلم الإبراهيمي في الجهاد ضد فرنسا، اهتم أيضا بالقضايا القومية الكبرى في شؤون العرب والمسلمين، مستغلا شتى المناسبات التاريخية والدينية للفت أنظار العرب لواقعهم المزري، وتذكيرهم بماضيهم الزاهر.
- شكل الاستعمار الفرنسي والإنجليزي محورا هاماً في كتابات الشيخ الإبراهيمي، حيث ركز الإبراهيمي على كشف سياسات ومخططات وجرائم فرنسا، كما كان دائما يستحضر التحالف الإنجليزي الصهيوني من أجل إقامة الدولة اليهودية في فلسطين و ما ترتب على ذلك من نتائج خاصة على فلسطين.
- كانت مقالات الإبراهيمي مواكبة للحركة الوطنية ومسايرة لها ومؤرخة لبعض المراحل التي اجتازتها .
- لقد كان موقف الإبراهيمي صريحا من الثورة الجزائرية، حيث دعمها وخدمها بقلمه ولسانه، وكان مؤمنا بنجاحها، وقدرتها على التخلص من المستعمر، وهو ما تجلى في خطبه وبياناته حول الثورة.
- تميز أسلوب البشير الإبراهيمي في الكتابة التاريخية بالسخرية والتهكم، و تلك سمة عُرفت عند كبار الكتاب قديما وحديثا، ولم يكن يستخدم هذا اللون من التعبير في جميع ما يكتب، و إنما هو لون يعتمده عندما يرى أن المقام يفرضه والظروف تقتضيه، خاصة عندما يتكلم عن الاستعمار الفرنسي وأعماله ورجاله، أو عندما يصف موقف حكام العرب المتخاذل تجاه ضياع فلسطين.

ولا نحسب أننا أحطنا بكل صغيرة وكبيرة في الموضوع، لأن الكمال صفة لا يتصف بها سوى الخالق عز وجل، لذلك نرجو أن تجد أفكار وكتابات الإبراهيمي مكانها الواسع في الدراسات التاريخية، لأنها تستحق ذلك بكل افتخار .

وصل وسلم الله على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين.

ملاحق

ملحق رقم (1) : كلمة كتبها الإبراهيمي–رحمه الله– بمناسبة الذكرى الرابعة والعشرين لوفاة الشيخ ابن باديس.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب الله لي أن أعيش حتى استقلال الجزائر، وبوسعي أن أستطيع أن أواجه النبأ مرتاح الضمير، إذ يراءى لي أني سأمت شغل الجهاد في سبيل الدفاع عن الإسلام الخ. والنهوض باللغة. وذلك الجهاد الذي كنت أعيش من أجله. إلى الذين أخذوا زمام الحكم في الوطن. ولذلك قررت أن ألزم الصمت.

غير أني أشعر أمام خطورة الساعة. وفي هذا اليوم الذي يصادف الذكرى الرابعة والعشرين لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس، رحمه الله، أنه يجب عليّ أن أقطع ذلك الصمت. إن وطننا يخرج من حرب أهلية طاحنة ويتخبط في أزمة روحية لا نظير لها وبواعث انفصامية عسيرة الحل.

ولكن المسؤولين فيما يبدو، لا يريدون أن نتعبأ بطمح قبل كل شيء إلى الوحدة والسلام والرفاهية. وإن الأسس النظرية التي يقيمون عليها أعمالهم يجب أن تنبعث من صميم حضارتنا العربية الإسلامية لا من مذاهب أجنبية.

لقد آن للمسؤولين أن يصدروا الكتل في الزاهة وأن يقبروا وثنا الاقتصادية والاجتماعية، وأن تكون المصالحة العامة هي أساس الإنعاش عندهم. وقد آن أن يرجع للكلمة الأخيرة التي اختزلت معناها في الشورى التي حرص عليها النبي (صلى الله عليه وسلم).

وقد آن أن يجتمع أعضاء المجلس الوطني ويتدارسوا جميعا تدريجيا "شورى" أعمالهم الحالية والمستقبلية "تقوم على تقوى من الله ورضوان".

الجزائر في ١١ أفريل ١٩٦٤

المصدر: حسن السماحي سويدان ، المصدر السابق، ص41.

ملحق رقم (2): مقال محمد البشير الإبراهيمي حول تقسيم فلسطين .

البصائر

... وعود إلى فلسطين

(1)

المصدر: جريدة البصائر ، العدد 21، 2 فيفري 1948، ص1.

ملحق رقم (3): مقال الإبراهيمي –رحمه الله– حول فصل الدين عن الحكومة.

فصل الدين عن الحكومة ★

— ٢ —

بقلم محمد البشير الإبراهيمي

سلما أن فرنسا دولة مستعمرة من ذلك الطراز الاستعماري الذي لا يرى الأرض ، وأنها تتخذ بلدانها أنها معدة للغنم ومعلفة وناشرة لواء الحرية فيه ، وأنها السابقة الى ابادة الأديان ، وقطع الصلة بين الله وعباده ؟ وأنها واضعة نظام الابكار الذي معناها وضع سدود بين الحكومات وبين الأديان كيفما كان نوعها ، ومعناها أيضا تقوية السلطة المدنية ، وتوهين السلطة الروحية ؟ وأنها الأستاذة الكبرى لكل من يريد هدا السبيل ، وتلمس بيده الشرعة ؟ وأنها مرجع كل الماحي ، وقدوة كل ملحد ؟ وأنه شيعة مصطفى كامل في الأولين ، ومصطفى كمال في الآخرين ؟ ما هتف الا بل في الوطنية الا على شعارها ، وما دعى الى الحرية الا على مزمارها ؟ وما استدبر الشرق الا ليستقبل مغرب أنوارها ، وما نبذ حروف العرب الا ليتعلق دارسو غيرها وطوراته بآثارها .

كل هذا مما نعرفه عن فرنسا ونعرى به البلاد منا وغير المثقفين .

ولكن ما بالها حالفت العالم الاستعماري كله ، وخرقت اجماعه ، وشذت عن قاعدته ؟ فهو يسالم الأديان حتى لباديها منها وغير المقبول ، ويترك أهلها أحرارا في شعائرهم ومعابدهم ، ويوليها شيئا من الرعاية والاحترام ، ويكتفي بالتحفظ على جناب الدنيوي من جانبهم . أما من فضايق الاسلام في الجزائر ، وتحشر باسمه وشعائره ، وتلهين رجاله ، وتتبع أوقافه ، فلا سمعه الا ما فتحه ، ولا اباد الا من نصبه ، ولا مشى الا من (خلفه) أو (ملكه) ، ولا شيخ طريق الا من (سلكه) ، ولا حاج الا من حجبته أو سكه ، ولا عالم ولا متعلم الا من

(*) تابع لما نشر بعدد ٧٠ .

على به (جلبها) ، ولا ضلال الا ما شهد برؤيته (فاضها) !...

* * *

قرانا سير الانكليز في الهند فوجدناهم بالغوا في اعطاء الحرية للأديان حتى بغضوا حد السخافة ، وسووا في ذلك الحرية بين قراء البقرة بالحق ، وبين عبدة البقرة بالباطل ، ويسروا سبيل الشيع حتى اتسع مجالها الاستطاعة .

وقرانا عن ذلك الدويلات الاستعمارية — وشهدنا — أنها تحترم الأديان الموجودة في مستعمراتها حتى الوثنية منها ، والتضارب لخسارة الاسلام ، والوقوف في طريق الرقي العقلي . ولو أنها خصت الوثنية منها بالاحترام والحرية — لقلنا : انها مايلة لتجعيل بها حرية الدين وسيلة لاستعباد المتدينين به . ولكنها ارخت عنان الحرية للاسلام الذي هو أعظم خصوم الاستعمار ، وأقوى عامل للانخلاص منه .

ثم ما بالها خالفت نفسها ، وناقضت مبادأها ؟ فهي في فرنسا تدين بالعلمانية وحرية الأديان ، ينص على ذلك دستورها ، ويجري عليه تعليمها ، وتتأثر به أمتها ، وهي في الجزائر (تتمسك) بالاسلام هذا التمسك ، وتتشدد في (القيام) به هذا التشدد ، وتتعب في الانفصال عنه هذا التعب .

* * *

في الدول المستعمرة من هي أسرع من فرنسا في قضه الاستعمار ، ومن بلغت فيه درجة الاجتهاد الطلق ؟ وهي — مع ذلك تحامل الاسلام بما يليق به من كرامة ، وبما يستحقه من حرية ؟ فهل هي في هذا غافلة لاصول الاستعمار ؟ وهل هي في هذا غافلة عما في حربه من خطر ؟ لا... وانما هي في هذا أوسع نظرا وأكثر بصرا بالعواقب من فرنسا . وهي ترى ان اعطاء الحرية للاسلام جلب للهناء والسعادة وحسن العشرة ولو الى حين ، وهي تعتقد في قرارة نفسها ان الاستعمار لعمومية والخصوصية أخوج الأشياء الى الخلق : وهي قد جربت فطنتها التجارب أن حرية الأديان لا خطر فيها ، وانما هي خير وراحة ورضى واطمئنان . ولو أن فرنسا السيئة الظن بالاسلام ، والموجسة من حربه خيفة — رمت بعصرها الى ما وراء الحدود الجزائرية ، ولو أنها كانت ممن يتتبع بالتجارب — لرأت في المغرب وتونس ما ينقض عليها عقيدتها في الاسلام ، ويغير نظرتها اليه ، وحكمها عليه . فالاسلام في القطرين حر ، وادارته بيد أهله ، ولم يأت الضرر من تلك الحرية ، بل ان حرية الدين في القطرين سدت عليها أبوابا من الخطر والاقلاق . واذا قلنا ان الاسلام حر في المغرب وتونس فانما لا نعني من الحرية معناها الواسع الصحيح لأن الاستعمار الفرنسي لا ينسى عوائده ولا يخالف أصوله وما زال يتخذ من أصاله في الجزائر — على شناعتها — نموذجا يحتذيه في الاقطار التي ابتليت به . لا يتنع بالحظات ، ولا يتطور مع الأوقات ، وفي تدخله في الأوقاف الدينية بتونس ومراكش ، واستهوائه لأكابر رجال الدين ، واستداد نفوذه الى السلطة القضائية — أكبر دليل على ما قلناه .

* * *

الاستعمار كله رجس من عمل الشيطان ؟ يلتقي القائمون به على سجايا خبيثة ، وغرائز شريرة ، وتصرفات عميقة الى وسائل الاغراض ، واخضاع الغرائس ، وأهم ذلك الوسائل قتل المعنويات وتخدير الاحساسات الروحية ؟ ولكن هناك تفاوتا بين الاستعمار والاستعمار ، فالاستعمار يباشر وسائله بالعنف ويشرها معاني من الانتقام ؟ وآخر يباشرها بنوع من التسامح واللين ؟ والاستعمار الفرنسي من النوع الأول ؟ وبين النوعين فرق ، وان كانا — كلاهما — بغيضين ممقوتين ، لانهما استغلال للاموال . واستباد الاجساد ويزيد أحدهما بان فيه ترويحا على الأرواح . ولولا ما بلونا من شر الاستعمار الفرنسي على ديننا ولغتنا ، وما نجرعناه في سبيل احيائهما من غصص ، وما كابدنا في اتقائهما منه من بلاء — ما ذكرنا الاستعمار بخير ، ولا اجريناه على ألسنتنا الا مقرونا باللعنة مصحوبا بالسخط ؟ ولكن في الشر خيارا لا يقدره قدره الا المبتلى بالأشد .

سداه مثلا الاستعماران : ما يقصه منها الروحانيون الفقه الخشن وما يقدمها اللغة الوطنية ، وما يتعمدها بالقتل الوحشي وما يتلبها بلون البطش . وسيوفان — وان طال الدهر — عصيا ، وسيخة لهما الفقر الذي يهل ولا يهمل ولا يجدان من دونه وليا ولا عصيا .

* * *

أكثرنا من ذكر الاستعمار في المعارض التي يلتقي بنا أو نلتقي به فيها حتى كدنا نألفه فأنسى له نفوسنا ، وبسطنا ترداد اسمه من الاشمئزاز المتغلغل منه ، كما بشطنا الأكثار من لعن الشيطان عن الاحتراس من وساوسه ، والتحفظ من مكايده ؟ فلنرجع الى أنفسنا والى امتنا ، ولنسائلها الحساب : ماذا أعددت لتحرير الدين ؟ وبماذا استعدت ؟

لنخرج من الأقوال الى الأعمال ، ومن الأفراد الى الاجتماع ، ومن التفريط الى الحزم ، ومن البطالة الى التصميم ، ومن المطاولة الى الابجاز ، ومن التحاقل الى التناصر ، ومن الجلبجة الى الصراحة ، ومن السلب الى الايجاب .

ان المسألة خطيرة ، وان الأمة الجزائرية السلمة في قلق عظيم ، وان أصحاب الأغراض والنفع من حكومة وحكومين يجثون بدينا ونحن نثر .

فلتقف الرصة الخامسة التي توقف كل عابث عند حده .

محمد البشير الإبراهيمي

المصدر: جويدة "البصائر"، العدد 83، 13 جوان 1949.

ملحق رقم: (4) مقال الإبراهيمي حول المؤتمر الإسلامي .

وما نا عليكم بحفيظ » (قرآن كريم)
GÉRANT
KHEIRADDINE Mohamed
(لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)
DIRECTEUR-RÉDACTEUR EN CHEF
Tayeb El-Okbi
الجزائر يوم الجمعة ٢٢ ربيع الاول ١٣٥٥ — تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع — الجزائر يوم ١٢ جوان ١٩٣٦

المؤتمر الاســـــلامي الجزائري

« لا يبنى مستقبل الامة الا الامة »

(بقلم الاستاذ محمد البشير الابراهيمي)

اي ابناءي !

اى انا الأم الـولود المنجبة ، الطوف الغر الحسان المعجبـة

فلم غدت محـاسني معجبـة ؟

والدت الغر الميامين ؛ من ابائكم الاولين ، فأوسعوني برا وتكرمة ؛ وكافؤني وفاء واحسانا . وفد علي الاسلام فكنت له حصنا ، ووفدت معه اللغة العربية فقلت لها حسنا . ثم اتخذتهما مفخرتي دهري ، ووديعتهما بين سحري ونحري ، واقسمت ان اتلقب بهما طول عمري . ألا لستم لي حتى ترعوا عهدي برعاية عهدهمـا ، وتحققوا وعدي بالاستمـاتة في سبيلهمـا .

انا الام . ومن حق الام ان تسمي ولدها . وقد سميتكم : العرب المسلمين واشهدت التاريخ فسجل . فلستم مني ان عققتموني بتبديل الاسم او تفريق المسمى .

انى قرة العين يوم كم هذا اذ وسمتموه بوسمي ؛ وسميتموه باسمي ؛ وشرفتموه بالاسلام وزنتموه بالعروبة .

(لسان حال الجزائر)

المصدر : جريدة"البصائر"، العدد 23، 12 جوان 1936، ص1.

ملحق رقم (5): مقال البشير الإبراهيمي حول مجازر 8 ماي 1945.

ذكـــرى ٨ مـــــاي

يوم عظم الجوانب بالغظم ، مطرز الحواشي بالدماء الطلوله ، مقشعر الأرض من بطش الأقوياء ، مبهج السماء بأرواح الشهداء . خلق شمسه طيبتها فلا حبة ولا نور ، وخرج شهره من طاعة الربيع فلا ثمر ولا نور . وغبت حقيقته هذه الأقلام فلا تصور ولا تبين .

* * *

يوم ليس بالغريب عن (رزنامة) الاستعمار الأرضي بهذا الوطن ، فكم له من أيام مثله . ولكن الغريب فيه أن يجيئ - عن قصد - خاتما لكتاب الحرب ، معي أنهكتهم الحرب على من قسمهم لأوباعها ، وأعيتهم على احراز النصر فيها . ولو كان هذا اليوم في أوائل الحرب لوجدتنا من يقول : انه تجربة ، كما يجرب الجيش القوي سيفه في الضعيف الأعزل .

* * *

، الشعوب قد حققت قيمة الاستعمار والحرب . وحكمة ما كانا سلبي أبوة ، لا يتم أولهما الا بانيهما ، ولا يكون ثانيهما الا وسيلة لأوليهما . وقد تلاقت بداهما الاستعمار في هذا اليوم في هذا الوطن ، هذا مودع الى ميعاد فقطعة السلاح تحيته . وذلك ترميم أن يقيم الى غير ميعاد فجأت القتل من هذه الأمة ضحيته .

* * *

تستحسن العقول قتل القاتل . وتؤيدها الشرائع فتحكم بقتل القاتل . ولكن الاستعمار الصائي يتحدى العقول لأنه عدوها ، والشرائع لأنها عدوه ، فلا يقوم الا على قتل غير القاتل... ويضلو في اثامه الطاغي فيتحدى خلق العقول ومنزل الشرائع ، ويتبع حكم الله بحكمه ، ودعوة الله بضده ، فيقتل النبوغ والزعيم والبطل والأطفال .

* * *

أين السعداني من النذير ويوحد من الاستعمار وأبائه ؟ كلا للمستعمر يومان : يوم وأس وذنب معي . وبينهما مجال واسع للبطش ، وملعب فسيح للعبث . فاذا ظفر عاثر النحس في احدى يوميه رفع على حالين أحدهما رجلا ، أو عجزه لم يلتق مع السعد في طريق . أما الاستعمار فأيامه كلها نحسات ، بل دهره ، كله يوم نحس مستمر ، عجت الفرانسيل من أيامه ولياليه فكلها سود حوالك ، يطير طائر النحس منها فلا يقع الا على أمم هامدة مطمئنة . وأين فتى ضحيت دماؤها الغريزين (*) ، من فتى ضحيت دماؤها أديم الأرض ، وخالطت البحار بعض ماء البحار الأسكن .

* * *

أمة كالأمم حلت بها وبلات الحرب كما حلت بغيرها ، وذاقت لباس الجوع والعرى والخوف ، وتجمعت الحرب أنوابها وأنوابها ، وجرعت الثكل أنهابها والبؤس أعقابها ، وأكلت شبابها ، وقضمت أسابها ، وصلبت نار الحرب ولم تكن من جناتها ، وقدمت من نسل النصر مآت الألوف من أبنائها فأثلوا لغير غاية ، وقتلوا في غير شرف ، في حين كانت الأمم تقتل على المثل ، والمثل قيمة وسياده ، وعلى الحرية ، والحرية حياة وعز . أما هذه الأمة فكانت تقاتل حليل من أهل ، وولده من حياة ، وسيادة من رجاء ، وحظ من وعد . فلا تعاؤن ، وتجاذبت في الخانقين أسداؤه ، من ديمقراطية زائفة كذاب نيهما مرتين في جيل واحد . فما سكن الأعصار ،

(*) الغريزان ، يريدان بالكثرة كان السعداني يلقبهما بسيد قاتلاه .

ونفست الأمم في جو من السلم ، وتهيأت كل أمة أن تستقبل بنايا الدار من شبابها ، وكل أم أن تعانق وجيدها - عادت الى الاستعمار الوحشية وحيوانيته في لحظة واحدة ، فأثار ثائرات وعثال عباده بيد ، وبعد بالقتل على من كانوا بالأمس إخوان حياته ، وأعوانه ، وبدلهم مطلع الصديق في ثلاث ساعات ، وجعلهم بضعة الدم ومنطق الحديد ، وأعلن الحرب لتشتري حياته بموتهم ، ويرمم جداره بهدم ديارهم . فاذا على منهم كلب بالوعيد ، أو من ديارهم فأسرع غير حميد ، قضى ذلك المنطق فيه بالابادة والمحو ، وجعل يومه خالصة لآلام الدم والحديد ، وعطفه على عموم الأمس المشترك مطهما بالماء الأسن . وكذلك كان ، فقد تتبع الذين أنهبهم في يوم واحد على بشاشر تباعد بالنصر ، وعلى عشائر من (المتمردين) تباعد النحر ، وقضوا أنواعهم على مدافع التشتير ، وأخرى التدمير . وعلى أخبار تدوين بأن السماء وثقت في العالم كله ، والحرى تقول : ان السماء أرخت في جزء صغير من العالم هو ثلاث القرى المنكوبة من مقاطعة قسنطينة : وفي لحظة واحدة تباعدت السماء بأن الحرب انتهت مساء أمس بوقين ، وابتدأت صباح اليوم بالجزائر . وبينا بين خطوط البرق ، بين الغرب والشرق ، أعلنت حرب من طرف واحد وانجلت في بضعة أيام عن ألوف من القتل العزل الضعفاء ، واحراق قرى وتدمير مساكن واستباحة حرمات ونهب أموال ، وما تبع ذلك من ترهيب وسجن واعتقال . ذاكم هو يوم ٨ ماي .

وأين يكون البلاء يا ترى ؟ أالضعيف الأعزل أم القوي المسلح ؟

* * *

لك الويل أيها الاستعمار . أهذا جزاء من استعبدته في سعادة العسرة فأيسعدك واستصرخته حين أيئست بالصدم فأوجدك ؟ أهذا جزاء من كان يسهر وأنت نائم ، ويجوع أهله وأهلك يطعمان ، ويبت في الصوائف التي تظير فيها صيوف أبنائك تعاما ؟ أيشرفك أن يتقلب الجزائري من ميدان القتال الى أهله بعد أن شاركك في النصر لا في النبعة ، وأمل فرحه باتصارك مستأثر فرحه بالسلامة - فيجد الأب قبلا ، والأم عجوزة من الفرح ، والدار مهدومة أو محرقة ، والحقلة متلفة ، والعرض منتهك والمال نهبا مقسما ، والصغار عالمين ؟

* * *

يا يوم !... قد دميت بريئة أريقت فيك ، وقد أعراض طاهرة انتهكت فيك ، وقد أموال محترمة استبيحت فيك ، وقد يتامى فقدوا العائل الكافي فيك ، وقد أيامى فقدن جوانحهن فيك ، ثم كان من تمام الكفر بعين أن منعن من الأدب والتزوج ، وقد صبايا أموال أخذها يد الغاصبين ، وحسبت فلم تقسم على الوارثين .

* * *

يا يوم !... لك في نفوسنا السمة التي لا تمحى ، والذكرى التي لا تنسى ، فكم من أية سنة نشئت فأنت يوم ٨ ماي وكفى ، وكل ما لك علينا من دين أن نحيي ذكراك . وكل ما علينا لك من واجب أن نسدون تاريخك في الطروس ، لئلا يمحه النسيان من النفوس .

محمد البشير الإبراهيمي

المصدر: جريدة"البصائر"، العدد 35، 10 ماي 1948، ص1.

ملحق رقم (6) : صورة للبشير الإبراهيمي-رحمه الله- سنة 1937.

المصدر : محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج1، ص4.

ملحق رقم (7):إدارة جمعية العلماء المنتخبة 17 جويلية 1934.

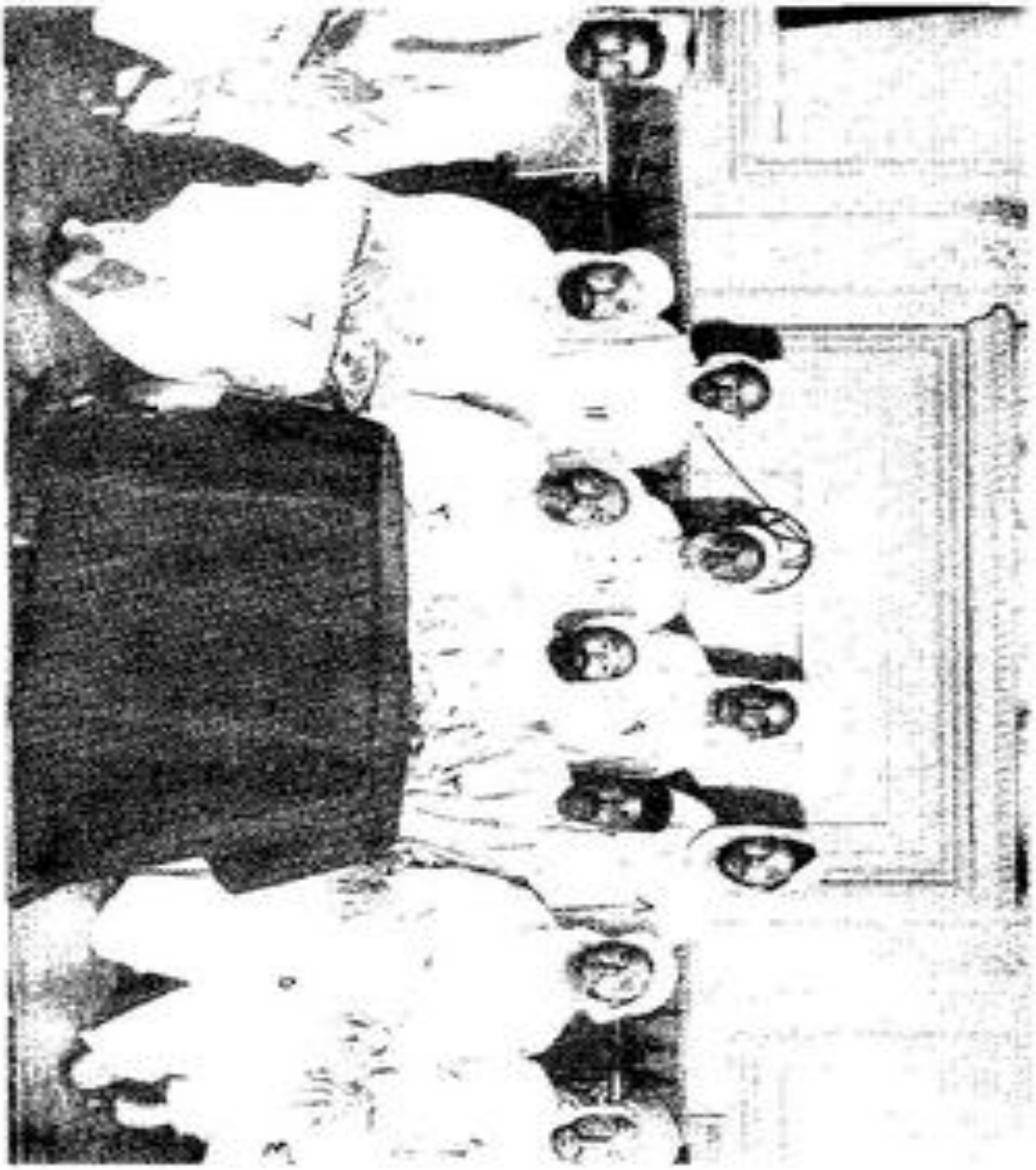

إدارة جمعية العلماء المنتخبة يوم الثلاثاء ٥/ ٤/ ١٣٥٣هـ ـ ١٧/ ٧/ ١٩٣٤م فيها بعض أعلام الإصلاح نذكرهم حسب الأرقام التي وضعها صاحب الصورة. وهم المشائخ الأجلاء:

١ ـ عبد الأرقام بن باديس ٢ ـ البشير الإبراهيمي ٣ ـ الأمين العمودي ٤ ـ عبد القادر بن زيان ٥ ـ العربي التبسي ٦ ـ مبارك الميلي ٧ ـ الطيب العقبي ٨ ـ السعيد الزاهري ٩ ـ محمد خير الدين ١٠ ـ يحيى حمودي ١١ ـ إبراهيم أبو اليقظان

المصدر: حسن السماحي سويدان ، المصدر السابق، ص45.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

أولا المصادر:

- الكتب:

1-ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تح: كارل يوحن تورنبرغ، دط، دار الطباعة المدرسة، أوبسالة، 1833.

2-الإبراهيمي محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997، ج1.

3-الإبراهيمي محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997، ج2.

4-الإبراهيمي محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997، ج3.

5-الإبراهيمي محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997، ج4.

6-الإبراهيمي محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997، ج5.

7-الذهبي شمس الدين : سير أعلام النبلاء، تح: مأمون الصاغرجي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1982. ج4.

8-الزبيري العربي ، المثقفون الجزائريون والثورة، د ط ، المتحف الوطني للمجاهد ، 1986.

9-السبكي تاج الدين: طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، د ط ، دار الكتب العربية، ج8.

10- سويدان حسن السماحي: من سير الخالدين بأقلامهم، ط1، دار القادري، دمشق، 1998.

11- شبوب عثمان: الشيخ محمد الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2012.

12- المدني أحمد توفيق: حياة كفاح، د ط، الشركة الوطنية للنشر التوزيع ، الجزائر، 1982.
13- الورثلاني الفضيل: الجزائر الثائرة، ط4، دار الهدى، عين مليلة، 2009.
- الجرائد:
14- البصائر:
- العدد 23، 12 جوان 1936.
- العدد 67، 14 ماي 1937.
- العدد 1، 25 جويلية 1947.
- العدد5، 5 سبتمبر 1947.
- العدد14، 17 نوفمبر 1947.
- العدد21، 2فيفري1948.
- العدد22، 9فيفري1948.
- العدد23، 16 فيفري 1948.
- العدد 24، 23 فيفري 1948.
- العدد 36، 17ماي1948.
- العدد38، 7 جوان 1948.
- العدد83، 13 جوان 1949.
- العدد118، 10 أفريل 1950.
- العدد 119، 15 ماي 1950.
- العدد 178-179 جانفي 1952.

ثانيا: المراجع :

15- بلاسي نبيل أحمد: الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، د ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990.
16- بن ساعو محمد: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية 1954-1962. دار الأمة ، 2016.

17- البيومي محمد رجب: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ط1، دار القلم، دمشق ، 1995، ج1.

18- حربي محمد: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عياد ،صالح المثلوني، د ط، موفم للنشر، 1994.

19- الزركلي خير الدين: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002 ،ج3.

20- سعد الله أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط خ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ج4.

21- سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، ط خ ، دار البصائر، الجزائر، 2007، ج10.

22- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ط4 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج3.

23- عباس محمد: البشير الإبراهيمي أديبا ، ط1، دار البصائر، الجزائر.

24- كحالة عمر رضا: معجم المؤلفين، د ط ، مؤسسة الرسالة ، د ت ، ج ٣ .

25- مرتاض عبد المالك: محمد البشير الإبراهيمي (1889-1965)،د ط، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984.

26- المجلس الأعلى للغة العربية : مقتطفات من آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، د ط، المجلس الأعلى للغة العربية، 2009.

27- منصور أنيس : هؤلاء العظماء ولدوا معا ، ط1، دار الشروق، بيروت،1991.

28- مهداوي محمد: البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه ، ط1، دار الفكر للطباعة ، دمشق، 1988، ص35.

29- نويهض عادل : البشير الإبراهيمي عظيم من الجزائر، د ط ، دار الأبحاث ،1986.

- المعاجم و الموسوعات:

30- بوذينة محمد: موسوعة أحداث العالم في القرن العشرين، مج2 1910-1919، الشركة الجديدة للطباعة والصحافة، تونس، دت.

- الرسائل جامعية:

31- بوبقار السعيد: فلسطين في أدب الإبراهيمي: مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008.

32- بوسعيد سومية: القضايا الوطنية من خلال صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – البصائر أنموذجا-، مذكرة دكتوراه، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2014-2015.

33- دلندة لبنى: الفنون النثرية في آثار البشير الإبراهيمي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة،2015-2016.

34- فايد بشير: قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان-دراسة تاريخية وفكرية مقارنة-، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.

35- قادة داني: أثر الحركة الوطنية في المقالة الأدبية عند محمد البشير الإبراهيمي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، 2007-2008.

36- مرجي عبد الحليم: قضايا تحرير المغرب العربي عند محمد البشير الإبراهيمي وعلال الفاسي(1919-1962)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014-2015.

37- معمر الدين عبد القادر: أشكال التعبير الأدبي في كتابات البشير الإبراهيمي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2010-2011.

- المجلات والدوريات:

38- بعلي حفناوي: آفاق الثقافة و الفكر الإجتماعي السياسي في تصور محمد البشير الإبراهيمي، مجلة المصادر، عدد 24، 2011.

39- زغير فهد مسلم: محمد البشير الإبراهيمي ودوره الفكري والسياسي (1965-1989)، مجلة ديالى، العدد 63، قسم التاريخ، الجامعة المستنصرية، 2014.

40- السعيد حمودي: سمات الخطاب عند محمد البشير الإبراهيمي " قضية فصل الدين عن الدولة " أ نموذجا، مجلة الحكمة، مجلد5، 2017.

41- العايب يوسف: تجليت ثقافة المقاومة في فكر محمد البشير الإبراهيمي، علوم اللغة العربية وآدابها ، مج11، العدد1، 18 مارس 2019، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي.

42- العمري مرزوق: الوطنية في فكر الشيخ البشير الإبراهيمي، مجلة المعيار، العدد 6، 2003.

43- مولود قرين: البعد القومي في فكر الشيخ البشير الإبراهيمي، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 16، كلية الآداب واللغات ، جامعة البليدة، مارس 2017.

- المواقع الإلكترونية:

44- الإبراهيمي محمد البشير : خلاصة تاريخ حياتي العلمية والعملية ، ج5، موقع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، على الرابط :http://www.oulamadz.org/2015/08/08 ، تاريخ الإضافة: السبت 23شوال1436. توقيت الإطلاع 20:06يوم 12أفريل2019.

45- نجيب بن خيرة: فقه التاريخ عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الملتقى الفكري للإبداع ، موجود على الرابط: http://almultaka.org/site.php?id=751&idC=7&idSC.

46- سعد الله أبو القاسم: الشيخ الإبراهيمي والثورة لتحرير الجزائر، موقع إبن باديس، تاريخ الإضافة 27 ذو الحجة 1434، تاريخ الاطلاع 02 جوان 2019 الساعة 16:56، موجود على الرابط :https://binbadis.net/archives/776 .

47- سعد الله أبو القاسم: الثقافة التاريخية عند الشيخ الإبراهيمي، موقع إبن باديس، موجود على الرابط:https://binbadis.net/archives/228 ، تاريخ الإطلاع: 12أفريل2019 الساعة: 10:11، تاريخ الإضافة:27 يناير2012.

48- عبيد مصطفى: قانون الأحوال الشخصية والتجنيس الصادر عن مجلس الشيوخ الفرنسي في 14 جويلية 1865، ص 1. متاح على الرابط: https://www.academia.edu/19756725/

49- النجار خالد: محمد البشير الإبراهيمي ، شبكة الألوكة ، موجود على الرابط: https://www.alukah.net/library/0/44043/، توقيت الإطلاع 18:29يوم16 أفريل2019، تاريخ الإضافة2012/9/9، ص 4.

فهرس

الموضوعات

العنوان رقم الصفحة

مقدمة: .....أ، ب، ج، د

الفصل الأول: التعريف بشخصية محمد البشير الإبراهيمي.....8

- أولا: مولده ونشأته.....9
- ثانيا : هجرته وحياته الفكرية و العلمية.....12
  1- هجرته إلى المشرق.....12
  2- العودة إلى الوطن 16
  3- هجرته المشرقية الثانية.....18
- ثالثا: وفاته.....19
- رابعا : آثاره.....19

الفصل الثاني: كتابات محمد البشير الإبراهيمي التاريخية حول الوطن العربي.....23

- أولا: تاريخ الإسلام.....24
  1- الهجرة النبوية.....25
  2- غزوة بدر.....26
  3- دور علماء الدين وسلطانهم على الناس.....27
  4- قصة العز بن عبد السلام "سلطان العلماء".....28
- ثانيا : تاريخ المغرب العربي.....30
  1- الاحتلال اللاتيني للمنطقة.....30
  2- عروبة الشمال الإفريقي.....31
  3- الأقطار المغاربية.....32
- ثالثا: تاريخ فلسطين.....37

الفصل الثالث: كتابات محمد البشير الإبراهيمي التاريخية حول الجزائر.....48

- أولا: تاريخ الجزائر قبل الاحتلال.....49
  1- الفتح الإسلامي 49
  2- الدويلات الإسلامية.....50

فهرس الموضوعات

العنوان **رقم الصفحة**

3- الجزائر العثمانية.....52
- ثانيا: تاريخ الجزائر المستعمرة.....52
1- الاحتلال الفرنسي وموقفه منه.....52
2- السياسة الاستعمارية 55
3- الحركة الوطنية.....58
4- مجازر 8 ماي 1945.....62
- ثالثا : تاريخ الثورة.....65

خاتمة:..... 71

ملاحق:.....74

قائمة المصادر والمراجع:.....82

ملخص المذكرة:

تناولت هذه المذكرة الجانب التاريخي في كتابات محمد البشير الإبراهيمي، وحاولت الكشف على العلاقة بين الإبراهيمي والتاريخ، وكيف تعامل الإبراهيمي مع قضايا التاريخ سواء فيما تعلق بتاريخ بلده أو تاريخ البلدان العربية والإسلامية، وبينت كيف كان الإبراهيمي يرصد الواقع الإسلامي بكل ما يحمله من مشاكل وعلل وتراجع حضاري، ويحاول أن يستمد الحلول لتلك المشاكل من سنن التاريخ، وهذا ما جعل الإبراهيمي ظاهرة فريدة من نوعه في تفسيره للقضايا التاريخية سواءً منها القديمة أو الحديثة أو المعاصرة ، في وقت لم يدرس فيه التاريخ في مدرسة ولا في جامعة.